

تاريخ الطبري مصدرًا للدكتور جواد علي في حروب الردّة

فصلٌ يُنشر لأول مرة من مخطوطة

«المُفصل في تاريخ العرب في الإسلام»

أ.د. يوسف كاظم جفيل الشّمري*

أ.م. د. عامر عجاج*

المُلخّص:

عُرِف المؤرّخ العراقي البارز الدكتور جواد علي أكثر ما عُرِف بتأليفه كتابه الأشهر «تاريخ العرب قبل الإسلام»، الذي وسّعه ونقّحه وأضاف عليه كثيرًا، بعد اكتمال صدوره بسنوات، ليصبح موسوعةً تاريخيةً ضخمةً بعنوان «المُفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، تُعدّ اليوم المرجع الأهمّ والمُعَوَّل عليه في دراسة هذه الحقبة من التاريخ. ولقد كان من حسن حظنا أن نُوفِّق إلى العمل في تحقيق موسوعة خطية أخرى مُكمّلة لهذا الجهد المعرفي، أنجزها الدكتور جواد علي في سنواته الأخيرة، وهي بعنوان «المُفصل في تاريخ العرب في الإسلام»، أرّخ فيها لعصر النبوة ولوقائع العقود الأربعة الأولى بعد الهجرة، وقد بلغنا مراحل مُتقدّمة في تحقيقها.

ويُسعدنا ومجّلة (المورد) الغراء تُكرّس عددها الفصليّ الأوّل في هذا العام للطبري، أن نخصّ قراءها بفصلٍ لم يسبق نشره من هذه المخطوطة بعنوان «بدء الردّة»، كانت روايات الطبري المصدر التاريخي الرئيس فيه، وذلك تلبيةً لدعوة كريمة من مدير تحريرها الأخ الأستاذ حسين محمّد عجيل.

* كَلِيَّة التَّربِيَّة للعلوم الإنسانيَّة - جامعة بابل.

* كَلِيَّة التَّربِيَّة الأساسيَّة - جامعة بابل.

يُعدّ تاريخ الطَّبْرِيّ من أهمّ الموارد التي أشار إليها الدكتور جواد علي في فصله هذا، وقد ذكره في متن المخطوطة بما يزيد عن ٢٠ مرّة، وأحال عليه ٣٨ مرّة في الهامش؛ لأنّه من أكثر المؤرّخين الذين دوّنوا حوادث الرّدة، ولأنّه بحسب عبارة جواد علي «قدّم لنا نصوصاً أصليّة قديمة، وأحاطنا بمادّة انفراد بها بنقله وحده». ولذلك قال واصفاً استقصاءه المُعمّق لهذه الحوادث: «ولا أجد أحداً من المؤرّخين الذين طبّعت تواريخهم قد كتب عن الرّدة بقدر ما كتبه الطَّبْرِيّ عنها».

وقبل أن نُدرج النّص المُحقّق الذي زوّدناه بهوامش تعريفية ميّزناها عن هوامش المؤلّف، أوجزنا السّيرة العلميّة للدكتور جواد علي وذكرنا أبرز آثاره المطبوعة والمخطوطة، ثمّ تحدّثنا عن مخطوطة «المُفصل في تاريخ العرب في الإسلام»، وسردنا قصّة عثورنا عليها، وقدّمنا وصفاً لأصل هذا الفصل المُحقّق الخطّي، وشرحنا خطوات عملنا في تحقيقه، وتوقّفنا عند تقييم الدكتور جواد علي لدور الطَّبْرِيّ في توثيق حوادث الرّدة، ثمّ بيّنا وجهة نظره - بوصفه مؤرّخاً مُعاصراً - للرّدة وتحليله الخاصّ لها، وأنهيينا مقدّمنا المقتضبة بخاتمة، تليها نماذج مُصوّرة من المخطوطة.

السّيرة العلميّة للدكتور جواد علي (١٩٠٧-١٩٨٧م):

وُلد الأستاذ الدكتور جواد علي في الكاظميّة، غربيّ بغداد، سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م، مُنتسباً إلى بيت المنشيّ، فهو ابن الحاجّ محمد علي المنشيّ (المتوفّي سنة ١٩٣٨م)، بن محمد حسين بن قاسم من قبيلة عكيل^(١). وضعته أمّه أمّونة الشّهْرَبَلِيّ

(١) «الآثار العربيّة، مُنتخبات من أبحاث المؤرّخ الدكتور جواد علي»، بشار عواد معروف وآخرون: ١٥ / ١. (مقدّمة الكتاب).

في دار أبيها الحاجّ خليل الشّهْرَبَلِيّ الواقعة في دربونة حسين الصّراف أحد ظرفاء الكاظميّة. وكانت القابلات تتنبّأ يومئذ للمولود وما يمكن أن يكون عليه في المستقبل طبقاً لعلامات على جسده، فتنبّأت قابله (أمّ مهدي) طبقاً لـ (أخت) وهي أشبه بوحمة على يده، بأنّه سيكون كاتباً، مع حُلم لها به، حكته لأمّه، بأنّها ستلد ولداً وسيكون كاتباً. وسمع جواد علي في طفولته هذا الأمر مرّات عديدة من أمّه (التي توفّيت في ١٧ تمّوز ١٩٤٣م)، فأعطى له ذلك دافعاً للسّير بطريق المعرفة في بيئة الكاظميّة العلميّة، وكانت يومئذ تزخر بالمجالس الأدبيّة والدّواوين التي يُنشد فيها الشّعر وتُستعاد حكايات التّاريخ.

أثّرت التنبّؤات في جواد علي، فمال إلى القراءة والكتابة مُبكّراً، فبدأ بقراءة الجرائد والمجلاّت والروايات، خاصّة روايات جُرّجي زيدان التّاريخيّة، ومال إلى الصّحافة وهو في الدّراسة الابتدائيّة، وجرب الكتابة بها، وراسل جريدة (العراق) للمرحوم رزوق غنّام، وكان يتردّد عليها في مكتبها بشارع المتنبي^(٢).

وذيل بعض مقالاته بأسماء مستعارية منها: «ابن خلدون»، و«حسن صادق». وفي الإعداديّة كان يُمضي بعض أوقاته في جريدة (النّهضة) لصاحبها الحاجّ أمين الجرجفجي رئيس حزب النّهضة، مُتولّياً تحريرها مجاناً إشباعاً لرغبته^(٣).

(٢) «الدكتور جواد علي، موسوعة المفكرين والأدباء

العراقيين»، حميد المطبعي: ١٤.

(٣) المرجع نفسه: ١٥.

تعلم جواد علي القراءة والكتابة في بلدة الكاظمية، مُنهيًا الدراسة الابتدائية سنة ١٩٢٥ م^(٤)، ثم التحق بمدرسة الإمام الأعظم أبي حنيفة في بلدة الأعظمية الواقعة على الضفة المقابلة من نهر دجلة، مع أخيه وصفي^(٥) لإكمال دراسته المتوسطة، وبعد أن أنهياها بنجاح درسا في الثانوية المركزية - وكانت الثانوية الوحيدة ببغداد - سنة ١٩٢٧ م، وأكملها سنة ١٩٢٩ م.

وبعد إكماله الثانوية، وكانت مدتها سنتين، تأهل جواد علي للدخول في دار المعلمين العالية سنة ١٩٢٩ م ليتلقى دروسًا في النحو والصرف والبلاغة وتاريخ الآداب العربية^(٦)، ونال شهادة الليسانس من دار المعلمين العالية سنة ١٩٣٢ م^(٧)، عُيّن مُدرّسًا في المتوسطة المركزية. وحين شرعت حكومة المملكة العراقية الهاشمية في العام الذي تُوِّفي فيه الملك فيصل الأول، بالتوسع في إرسال بعثات للتخصّص في العلوم الإنسانية والتطبيقية،

(٤) «المجمعيون في العراق ١٩٤٧-١٩٩٧»، صباح الأعظمي: ١٩.

(٥) يُنظر: المرجع نفسه: ١٩. وفيه: هو وصفي محمد علي، من مواليد بغداد ١٩٠٩، تخرّج في كلية الطب الملكية سنة ١٩٣٥، وحصل على الدبلوم العالي سنة ١٩٤٤ في موضوع الطب العدليّ والسّموم، عُيّن مساعدًا للدكتور أحمد عزّة القيسي مدير الطبابة العدلية، وانتخب نقيبًا لذوي المهن الطبية - الدورة الثالثة ١٩٥٨. استثنى من قانون التقاعد المدني رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٦ المعدل بتمديد خدمته لخمس سنوات.

(٦) «الآثار العربية»: ١٥ / ١.

(٧) «المجمعيون في العراق»: ١٩.

حصل جواد علي سنة ١٩٣٣ م على بعثة إلى ألمانيا لدراسة التاريخ، حيث حصل هناك على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة هامبورغ عن رسالته (المهديّ المنتظر والسّفر الأربعة)^(٨).

بدأ جواد علي البحث والتّقصّي العلميّ في التاريخ والآثار واللّغة أثناء دراسته الجامعية في ألمانيا، وساهم بكتابة عدد كبير من المقالات والبحوث في مجلّات متعدّدة أهمّها: مجلّة (الرّسالة) المصرية التي كان يحزرها الأديب أحمد حسن الزيّات، بدءًا من سنة ١٩٣٩ م، مُتناوِلًا موضوعاتٍ متنوّعة في الثّقافة والتّاريخ القديم والتّاريخ الإسلاميّ، نُشرت لاحقًا - بعد أن شدّبت وأضيف إليها - في كتب مستقلة مثل «تاريخ الصّلاة في الإسلام».

بعد عودته إلى بغداد عُيّن في وزارة المعارف، وحين اندلعت ضدّ الإنكليز حركة مايس سنة ١٩٤١ م بقيادة رشيد عالي الكيلاني، ساندها الدكتور جواد علي، ودعا في مقالاته إلى الحرّية والاستقلال والوقوف ضدّ بريطانيا، وانضمّ إلى الحركة، واعتقل بعد فشلها في الفاو لشهرين. ثمّ أُطلق سراحه وعاد إلى وظيفته في وزارة المعارف، ونشر مقالًا تحت عنوان: قُضي الأمر وزالت الإمبراطورية^(٩).

(٨) وممّن زامله في الالتحاق ببعثات إلى أمكنة أخرى: ناجي معروف، (وهو عمّ الدكتور بشّار عوّاد معروف)، والدكتور مصطفى جواد، والدكتور سليم النّعيمي وغيرهم.

(٩) «تاريخ الكاظمية»، محمد أمين الأسدي: ٤ / ١٤٩.

عُيِّن سكرتيراً للجنة التّأليف والترجمة والنّشر سنة ١٩٤٧ م، التي كانت النّواة الأولى للمجمع العلميّ العراقيّ الذي تأسّس يوم ٢٦ تشرين الثّاني من ذلك العام، فأصبح عضواً في المجمع الجديد وسكرتيراً له، وبعد صدور (مجلة المجمع العلميّ العراقيّ) نشر فيها حلقات دراسته الرّائدة «موارد تاريخ الطّبريّ»، وكذلك «موارد تاريخ المسعوديّ».

وكان جواد علي قد تزوّج بعد إتمامه دراسة الدّكتوراه من السيّدة زهرة طاهر محمّد عارف العبّيدي التي رافقته وأطفالهما^(١٠) في رحلاته العلميّة إلى المملكة المتّحدة وأميركا. وبعد وفاته ظهر السّبت ٢٦ / ٩ / ١٩٨٧ إثر مرض عضال استقرّت العائلة خارج العراق.

أبرز آثار الدّكتور جواد علي المطبوعة والمخطوطة:

١. «التّاريخ العام»، ١٩٢٧ م. المكتبة العصريّة.
٢. أطروحته: «المهديّ المنتظر وسفراؤه الأربعة» Der Mahdi der Zwolfer-Schi und seine vier (thess:phfl) unizersitat Hambrug (١٩٣٩) وهو عمل أكاديميّ صرف، لم يترجم عن اللّغة الألمانيّة حتّى سنة ٢٠٠٥ م
- (١٠) يُنظَر: «النّصارى في كتاب المُفصّل من تاريخ العرب قبل الإسلام: دراسة في أحوالهم العامّة»، منال غفّار حسن الحسني، رسالة ماجستير في التّاريخ الإسلاميّ، كليّة التّربية بجامعة القادسيّة، ٢٠٢٠ م. وفيها أنّه رُزق بثلاثة أولاد: الأكبر (علي)، مواليد ١٩٤٣ م، أكمل دراسته العليا في بريطانيا مُتخصّصاً في البنوك والمصارف، و(أمنة) المولودة سنة ١٩٤٤ م وهي تحمل شهادة الماجستير في الإدارة من جامعة ليدز. والصّغرى (أسيل) من مواليد ١٩٥٠ م، أنهت تخصّصها بدراسة الكيمياء في لندن.

حين ترجمه الدّكتور أبو العيد دودو الجزائريّ الجنسيّة، وسعى في هذا الكتاب إلى الإفصاح عن بعض المفاهيم الإسلاميّة ومنها فكرة المهديّ المنتظر.

٣. «تاريخ العرب قبل الإسلام» ونشره المجمع العلميّ العراقيّ بين سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٠ م وقد أوسع فيه الموضوع بحثاً وتقصيّاً وتحقيقاً^(١١).

٤. «المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام» وهو بعشرة أجزاء كبار، وطُبع في بيروت بين ١٩٦٨-١٩٧٢ م، أضاف فيه وزاد وفصّل وقدم وأخّر واستدرك على كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام»، واقترح عليه اسم المُفصّل أُستأذنه الشّيخ محمّد بهجة الأثريّ.

٥. «تاريخ الصّلاة في الإسلام»، ونُشر أوّلًا ببغداد سنة ١٩٦٨ م، وأعدت (دار الجمل) في ألمانيا نشره سنة ٢٠٠٧ م.

٦. «تاريخ العرب في الإسلام- السّيرة النّبويّة». طُبع أوّل مرّة في مطبعة الزّعيم ببغداد سنة ١٩٦١ م (عدد صفحاته ١٩١ ص)، ثمّ صدر في بيروت ١٩٨٦ م، ثمّ في دار الشّؤون الثّقافيّة ببغداد سنة ٢٠٠٤ م، وأخيراً في دار الجمل سنة ٢٠٠٩ م. وبلغ عدد صفحات طبعته هذه الأخيرة ٢٤٥ صفحة من القطع المتوسّط، وذكر في ختامه أنّه بلغ به إلى السّنة الثّالثة أو الرّابعة من عصر النّبوة. وهو تكملة لكتابه: «تاريخ العرب قبل الإسلام»، وقال في مقدّمته: «ولما كان كتابي هذا تكملة لكتابي:

(١١) «فقيدان مجمعيّان»، عدنان الخطيب، (مجلة مجمع اللّغة العربيّة)، دمشق، ١٩٨٧ م: ٨٢٤-٨٢٥.

وذكر المطبوعي - في ترجمته لجواد علي -
مخطوطاً له بعنوان: «المفصل في تاريخ العرب
في الإسلام»^(١٤).

وكتب الدكتور نصير الكعبي عن الجزء الأول
المطبوع من كتابه «تاريخ العرب في الإسلام»،
مُتسائلاً إن كان هذا الجزء من الكتاب «هو جزء
من مشروع موسوعي بقول جواد علي في مقدمته:
(هذا الكتاب في تاريخ العرب في الإسلام صلة
وتكملة لكتابي: تاريخ العرب قبل الإسلام، وهو
مثله في أجزاء سيتوقف عددها على الزمان الذي
ستقف ضربات قلبي عنده، وعلى البحوث التي
سأتطرق إليها)^(١٥). وهي إشارة إلى أنه كان يُحسّ
بأنه مشروعه الأخير، وربما كان يُحسّ في حينها
بمرضه الذي كان يعاني جسده منه». ويرى
الكعبي أن جواد علي كان يرى أنه من الضروري
القيام بدراسة مقدمات لما يمكن أن يكتبه في
التاريخ الإسلامي تمثلت في فحصه وقراءته
لأهم مصادر التاريخ الإسلامي وأوسعها، وهما:
تاريخ الطبري وتاريخ المسعودي، فأخرج بحثيه
الكبيرين عن موارد تاريخ الطبري^(١٦) وموارد

(١٤) «جواد علي، موسوعة أعلام العراق في القرن
العشرين»: ٤٧.

(١٥) «قراءة في كتاب (تاريخ العرب في الإسلام) للدكتور
جواد علي»، د. نصير الكعبي، مجلة (ينابيع الحكمة)،
النجف - العراق، ٢٠١٨ م: ١٠٨.

(١٦) نُشر الجزء الأول منها في (مجلة المجمع العلمي
العراقي): العدد الصادر في ١ أيلول ١٩٥٠ م: ص ١٤٣ -
١٨٠، والعدد الصادر في ٢ أيلول ١٩٥١ تاريخ الفرس
والزّوم: ص ١٣٦ - ١٩٠، والعدد الصادر في ٢ أيلول

تاريخ العرب قبل الإسلام، واستمرار له لذلك لم
أجد في هذا الجزء أيّ مكان مناسب للبحث في
الحياة السياسيّة أو الدينيّة أو الاقتصاديّة أو غير
ذلك من نواحي الحياة في الجاهليّة القريبة من
الإسلام بحثاً مفصلاً مُسترسلاً»^(١٧).

٧. «أصنام العرب»، نُشر في بغداد ١٩٦٧.

٨. «معجم الألفاظ العربيّة الجنوبيّة (السبائية)».
(مخطوط).

٩. «صورة الأرض للشريف الإدريسي». نُشر في
بغداد سنة ١٩٥١ م، وطُبع بمشاركة: د. أحمد
سوسة ومحمد بهجت الأثريّ.

مخطوطة المفصل في تاريخ العرب في الإسلام:
ذُكرت مخطوطة جواد علي «المفصل في تاريخ
العرب في الإسلام»، أو بعناوين قريبة من ذلك،
في بعض المراجع أو المقابلات مع المؤلف، فأشار
الدكتور عدنان الخطيب وباحثون آخرون إلى
وجود مخطوطة له تحت عنوان: «تاريخ صدر
الإسلام على ضوء مصادر جديدة»، نُرجح أنها
هي مخطوطته هذه التي نقوم بالعمل لإنجاز
تحقيقها معاً.

تتألف المخطوطة من أكثر من أحد عشر ألف
ورقة، تتناول موضوع صدر الإسلام والسيرة
النّبويّة والخلافة الرّاشدة حتّى بداية العهد
الأمويّ، وأشار صباح الأعظمي إلى وجود كتاب
واسع له مخطوط سمّاه: «تاريخ صدر الإسلام
على ضوء مصادر جديدة»^(١٢).

(١٢) «تاريخ العرب في الإسلام، السيرة النّبويّة»، جواد
علي: ٦.

(١٣) «المجمعيون في العراق»: ٢٠.

تاريخ المسعودي، ناقداً ومُدققاً في منابعهما ونقاط الضعف والقوة لكل منهما.

ويذكر الدكتور بشار عواد معروف، أنه قرأ في مواد مسودة كبيرة من سيرة الخليفين الراشدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما). ويقول إنه لم يتسن للمؤلف طبع هذا الكتاب^(١٧). ويبدو أن الدكتور معروف لم يطلع على أوراق الكتاب الكاملة، أو أنها كانت في مراحلها الأولى، أو أن الدكتور جواد علي لم يتحدث معه في تفاصيل هذا الكتاب.

ويشير أيضاً إلى إلقاءه محاضرات في السيرة النبوية في الجامعة، وإلى أن جواد علي كان يُعامل طلابه- ومنهم بشار عواد معروف- بوصفهم زملاءً، وهو أمر يُوضّح مدى تواضعه^(١٨).

وكانت هناك محاولة لنشر مخطوطته هذه ضمن إصدارات دار الشؤون الثقافية العامة التابعة لوزارة الثقافة، لكن حال عدم الاتفاق مع الورثة لأسباب مختلفة دون صدورها آنذاك.

قصة الوصول إلى المخطوطة:

سكن المرحوم الدكتور جواد علي في شقة في

١٩٥٥، العرب في الإسلام: ص ١٦-٥٦. وفي العدد الصادر في ١ آذار ١٩٦١، الخلافة: ص ٤٢٥-٤٣٦. ثم صدرت سلسلة المقالات في كتاب من تقديم محمد صامل السلمي ضمن سلسلة كتب مجلة العربية في ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م في ٣١٩ صفحة.

(١٧) «الآثار العربية»: ١/ ٢٩.

(١٨) المرجع نفسه: ١/ ١٧.

شارع الرشيد وسط بغداد، مُتخذاً منها مكتباً يضم مكتبته، التي يبدو أنها انتقلت- كلها أو بعضها- إلى أكثر من مكان، منها شقة في منطقة الصالحية ببغداد.

وذكر حميد المطيعي أن المرحوم جواد علي «كتب أكثر من ٤٠٠٠٠ صفحة في هذه الشقة، مُفضلاً البقاء فيها^(١٩). وهي مُطلّة من خلفها على حي لا يبعد كثيراً عن نهر دجلة. وكانت العمارة قد بيعت إلى شخص جديد، لذا كان من المُحتم نقل المكتبة والأوراق والمقتنيات إلى مكان آخر، فتم الاتفاق- باقتراح من السيد مؤيد محسن راضي- أن تُهدى إلى مكتبة كلية الآداب بجامعة الموصل، وبناءً على ذلك تسلّمها الدكتور صفوان ناظم البناء التدريسي في قسم التاريخ في الكلية، بعد الحملة الوطنية لتعويض ما فقدته تلك المكتبة جرّاء الحرق والتدمير الذي طال الجامعة ومكتباتها أثناء احتلال تنظيم داعش الإرهابي للموصل سنة ٢٠١٤ وما جرى بعده من فظاعات.

ونُقلت أوراق جواد علي الشخصية ومخطوطاته ومقتنياته إلى بيته الكبير في الوزيرية، قرب السفارة التركية. وكان بين وفاته سنة ١٩٨٧ وبين نقل المكتبة والأوراق والمقتنيات إلى منزله ٣٢ عاماً.

وكان أحدنا (الدكتور عامر عجاج) قد زار الشقة التي كان المرحوم جواد علي يسكنها، وفيها مكتبته، وهي الشقة رقم ٦٠٥، في عمارة زكي

(١٩) «العلامة المؤرخ جواد علي»، حميد المطيعي، مجلة

(بين النهرين)، بغداد، ١٩٨٥م: ٩٣.

جميل حافظ، الواقعة في محلة المربعة، بشارع الرّشيد وسط بغداد، وسيروي في المقطع أدناه قصة وصوله إلى مخطوطة «المفصل في تاريخ العرب في الإسلام»:

«أتصل بي الصديق مؤيد محسن راضي وكان مكلّفًا بمسؤوليّة الشّقة (اذ كان يعمل في العمارة نفسها، وهو مهتمّ بشارع الرّشيد وتاريخه، وكان والده هناك منذ مدّة طويلة)، بإمكانية الحضور لمشاهدة المكتبة المهملة في الشّقة التي كانت مؤجّرة بإيجار رمزيّ مقداره ٣٠٠,٠٠٠ دينار عراقيّ كلّ ستة أشهر. وكان السيّد مؤيد شرح للمالك أنّ الشّقة لا تحتوي إلّا كتبًا وأوراقًا، ولا يسكن فيها أحد منذ سنة ٢٠٠٦، مقترحًا القيام بأمر ما لإنقاذ ما فيها لعدم وجود أحد من الورثة في العراق.

لكنني لم أصل إليها إلّا بعد مناقشة أخيرة بعد بيع العمارة وضرورة نقل مكتبة الدكتور جواد علي ومقتنياته إلى مكانٍ آخر، فذهبتُ بتاريخ ٢٨ حزيران ٢٠١٩ أنا والصديق العميد الرّكن المتقاعد حسن عبيد عيسى من محافظة بابل إلى بغداد، واستقبلنا السيّد مؤيد هناك، وصعدنا عبر السلالم إلى الشّقة لنجد عمّالًا يقومون برزم الكتب.

ثمّ تواصلت معي السيّد مؤيد مرّة أخرى في الأوّل من تمّوز ٢٠١٩، طالبًا الاتصال به لإمر ضروريّ، مُضيفًا أنّ «الدكتور بانتظارك»، وحين استفسرتُ منه عمّن يكون (الدكتور)، أجاب بأنّه الدكتور عدنان البيّاتي الوكيل القانونيّ لعائلة الدكتور جواد علي، وهو مقيم في اسطنبول. ونقل لي

استفساره عن إمكانية قيامي بإخراج مخطوطة للدكتور جواد علي محفوظة لديهم. كنتُ أشكّ بوجود مخطوطة جديدة، وحسبتُ أنّ الأمر ربّما يتعلّق بأوراق مخطوطة «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، وطلبتُ مشاهدة أوراقها للوقوف على حقيقة الأمر. فأرسل لي رقم هاتف الدكتور عدنان للتواصل معه.

وبعد اتصالات مع السيّد مؤيد محسن راضي والدكتور عدنان البيّاتي، اقترح السيّد مؤيد عليّ الذهاب إلى منزل الدكتور جواد علي لمعاينة المخطوطات الموجودة في منزله في الوزيريّة، وفي يوم الجمعة ٣٠ / ١٠ / ٢٠٢٠ وصلنا أنا وولدي إسلام صباحًا، وكان بانتظارنا السيّد مؤيد، والسيّد زيد طارق رزوقي، والسيّد إياد ابن اخت الدكتور عدنان. ودخلنا البيت المشيّد في الأربعينيّات من القرن الماضي، بمساحته الكبيرة، وصعدنا إلى الطابق العلويّ، واطلعتُ على الأوراق التي كنت أحسبها مسودات كتب قديمة قد طبعت له، لكنني فوجئتُ بأنّها تحتوي على صفحات من كتابٍ آخر، في ملفّات تحمل عناوين مثل: محمّد وبيته، أزواج النّبّي، فقلّ ما أحببت، الإسلام دين الله، فترة الوحي، المسلمون السابقون، مبادأة الرّسول قومّه، أسباب المعارضة، أعداء الله، يثربُ والمنافقون، حكمُ عمر، عثمانُ عصر الفتنة، خلافة الإمام عليّ، معاوية، واقعة صفّين، خلافة الحسن... إلخ.

وجدتُ المخطوطة وهي بأوراق هائلة العدد مُدرجة في ملفّات مُرقّمة، وقد كتب عليها الدكتور جواد علي بخطّه عناوين الفصول من دون أن

يضع عنواناً رئيساً على الملفّ الأوّل أو الملفّات الأخرى. وهناك مخطوطة أخرى كُتِبَ على أحد ملفّاتها (معجم مقارن لألفاظ العربيّة الشماليّة مع الألفاظ السبئية) وُضِعَتْ طبقاً للحروف الأبجديّة، بأوراق وبطاقات تُقارب عدد أوراق المخطوطة نفسها التي نقوم حالياً بالعمل على إخراجها مطبوعاً.

وكنّت مُندهساً لهذا الكمّ من الأوراق والكنوز. ولذلك جرى الاتّفاق سريعاً مع الدّكتور عدنان البيّاتي على جلب أوراق المخطوطة الأوّليّة «المُفصّل» في تاريخ العرب في الإسلام» إلى البيت في محافظة بابل ناحية المدحتيّة، فجلبناها بعد أيّام قليلة.

وكنّت قد أبلغتُ أخي الأستاذ الدّكتور يوسف كاظم الشّمري بوجود هذه المخطوطة، وطلبتُ منه التّعاون في العمل لإخراجها إلى النور مطبوعاً، فأبدى موافقته واستعداده لذلك». أ هـ.

وعلى ذلك استأنفنا جرد الملفّات وترقيمها، فكان عدد ملفّاتها أكثر من (١٠٦)، وُضِعَ على كلّ ملفّ منها عنوانه. وكانت الخطوة الأولى تصوير المخطوطة بجهاز الماسح الضوئيّ (Scanner) وحفظها، فشرعنا بحملة واسعة لتصوير هذا الكمّ الهائل من الأوراق بمساعدة كبيرة من الأبناء والأصدقاء والأقارب، بعد تنزيل البرنامج على هواتفهم النّقالة وتعليمهم طريقة التّصوير. واستغرق الأمر نحو شهر، ثمّ جرى الاتّفاق مع أكثر من مُنصّد لتنفيذ العمل للإسراع بإكمالها، ولكن بعد تجربة عملهم جرى التّعاقد مع أفضلهم وأدقّهم عملاً لإنجاز هذه المهمّة بإتقان.

ثمّ بدأ العمل الأهمّ في تدقيق ما تمّ طبعه مع

المخطوطة وتصحيح الأخطاء وتنضيد ما قد يكون ناقصاً. وفي مرحلة لاحقة صُوّرت الأوراق المتفرّقة، وهي غير قليلة، لغرض وضعها في سياقها. وكان من ضمن الأوراق أوراق مُتفرّقة أخرى ومسودّات شتّى كتبها الدّكتور جواد علي، لا علاقة لها بموضوع الكتاب.

وبعد إتمام عمليّة المطابقة الأوّليّة للفصول المتفرّقة، ناقشنا أحجام الأجزاء، وارتأينا أن تكون بالحجم نفسه الذي ظهرت فيه أجزاء كتابه «المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام». وبعد أن قسّمنا الكتاب إلى أجزاء عدنا لمراجعة الأجزاء وقراءتها من جديد لتصحيح ما قد يكون فيها من أخطاء، وهي الآن في مراحل مُتقدّمة طباعةً ومُقابلةً وتدقيقاً، تمهيداً لنشر هذا الكتاب الموسوعيّ بعد أكثر من ثلاثة عقود ونصف على رحيل مؤلّفه.

وصف قطعة المخطوطة المُحقّقة:

القطعة المُحقّقة من المخطوطة هي واحدة من الملفّات المذكورة آنفاً، التي يتكوّن منها كتاب الدّكتور جواد علي «المُفصّل في تاريخ العرب في الإسلام»، ورقم الملفّ (٣٩)، وكان الدّكتور جواد علي قد عنوانه بـ: «الفصل السّادس: بدء الرّدة». ابتدأ الفصل بالنّص الآتي: «وقبل أن أشرع في تسطير أخبار الرّدة أقول: إنّ أخبارها على العموم مُضطربة قلقة، تحتاج إلى دراسة عميقة وإلى بحث عن موارد جديدة لعلّها تأتي بشيء جديد، أو بشيء يُصحّح الأخطاء والتناقضات التي نراها في الرّوايات المُدوّنة الواصلة إلينا، وهي روايات شأنها في نظري شأن بقيّة أخبار ظهور الإسلام».

أما نهايتها فقد كانت بالنص الآتي: «وصارت (يثرِب) عاصمة الإسلام، وعربيّة القرآن الكريم العربيّة الرسميّة للدولة وللدين، تُراجعها الأمصارُ في أمورها، وعلى الأمصار أمراء الخليفة، من أصحاب رسول الله، ينظرون في أمور الرعيّة، ويُجيبون الصّدقات، ويحفظون الأمن، ويُراجعون مع الخليفة ما يقع عندهم من مشكل، وبذلك وُحدَ عربُ الجزيرة لأوّل مرّة في حكومة واحدة، ذات عقيدة ثابتة وفلسفة موضوعة، ومُثّلٍ عليا في هذه الحياة».

وقطعة المخطوطة هذه هي النسخة الوحيدة، وهي بخط المؤلف، عدد أوراقها ٩٠ ورقة، كُتبت بخط واضح، تسهل قراءته دون جهد، ولون الخط هو اللون الحبري الغامق. وتمّ ترقيم الصفحات بيد الدكتور جواد علي، وعملت ابنته (أسيل) على إعادة ترقيم الكتاب كاملاً كلّ مجموعة على حدة، بحسب ما رتبها والدها، وكان تاريخ التّرقيم الذي عملت عليه ابنته - بحسب ما ثبتته من ملاحظات على كلّ ملفّ من الملفّات - هو سنة ١٩٩٤م، في شقّة والدها المذكورة آنفاً في شارع الرّشيد، وكانت تحرص حرصاً كبيراً - بحسب الملاحظات التي دوّنتها على عدد من الملفّات من بينها الملفّ المحقّق - على أن تضع كلّ ورقة في المكان الذي وضعها فيه والدها، لأنّها غالباً ما تكتب على واجهة الملفّ الذي يتمّ ترقيمه عبارة: «الأرقام مُرقّمة حسب ترتيب بابا. تمّ التأكّد من التّرقيم بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٩٤»، وهذه الملاحظة هي ما كتبت ابنته (أسيل) على ملفّ بدء الرّدّة المحقّق. كُتبت المخطوطة على ورق من نوع ٤A مخطّط،

ويبدو على الورق تقادم الرّمن، والكتابة بين سطر وآخر، ويبدو أنّ المؤلف حسب حساباً للشطب، فجعل من السّطر المتروك مكاناً للتّعديل الذي يمكن أن يحدث لاحقاً، وهذا ما حصل بالفعل، إذ إنّ أغلب صفحات المخطوطة فيها شطب وإضافة، وهذا ما يُثبت حصول مراجعة أو أكثر للمادّة المكتوبة، وكان يسحب سهماً للدّلالة على مكان الإضافة.

يتفاوت عدد الأسطر في الصّفحات، فإحدى الصّفحات فيها سطر واحد، فضلاً عن سطرٍ آخر في الهامش، وأكثر صفحات المخطوطة بعدد الأسطر هو: ١٦ سطرًا في المتن والهامش معاً.

عملنا في التّحقيق:

بعد تنضيد محتوى المخطوطة تمّت مطابقتها مع النصّ الأصليّ، ثمّ جرى تصويب الأغلط الطّباعيّة، وبعد ذلك عملنا على تحديد المصطلحات والمفاهيم التي بها حاجة إلى توضيح، مثل أسماء الأعلام وأسماء القبائل والأماكن، وعملنا على تعريف المهمّ منها والضروريّ، وبما أنّ قطعة المخطوطة هذه قد حُققت لتُنشر في عددٍ خاصّ بالطّبري تُصدره مجلّة (المورد) الغراء، بناءً على دعوة كريمة من مدير تحريرها الأخ الأستاذ حسين محمّد عجيل، فكان همّنا الاختصار كي تكون ضمن المعايير المطلوبة من ناحية الحجم وعدد الصّفحات المتاحّة؛ لذا اقتصرنا في تعريف هذه المصطلحات على الضروريّ منها. وحسبنا إشكاليّة تداخل إضافاتنا في الهامش مع هوامش المؤلف، ارتأينا أن نُميّز إضافاتنا في الهامش، بوضعها بين معقوفتين بهذا الشكل: []، كي يعرف المطالع

الكريمُ أنّ ما وُضع بين معقوفتين في الهامش هو من إضافات المُحقّقين، وليس من أصل المخطوطة، وبما أنّ المؤلّف قد خرّج الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة، وأحال ما اقتبسّه أو وظّفه من أقوال إلى مصادره، وكذلك الحال مع الحوادث التّاريخيّة؛ لذلك اكتفينا بهذه الإضافات في الهامش، مع تصويب بضع هفوات إملائيّة ولغويّة وقعت في المخطوطة.

الطّبريّ موردًا لدراسة بدء الرّدة عند الدّكتور جواد علي:

يُعدّ تاريخ الطّبريّ من أهمّ الموارد التي أشار إليها الدّكتور جواد علي في مخطوطته بدء الرّدة، وقد ذكره في متن المخطوطة بما يزيد عن ٢٠ مرّة، وكانت الإشارة الأولى إليه بأن ذكره مع مجموعة من المُصنّفات المُبكرة، التي أسفّ على عدم وصول أصولها إلينا، فقد فُقدت في الغالب أو لم يُعثر عليها بعد لتطبع^(٢٠)، مؤكّداً على تاريخ الطّبريّ، مُبيّناً أهمّيّته من بين المصادر الأخرى التي وصلتنا،

(٢٠) أشار الدّكتور جواد علي إلى تلك الكتب المفقودة التي نقلت حوادث الرّدة، والتي أخذ عنها الطّبريّ أيضاً في تاريخه، في مقدّمة كتابه الخطّي «المفصّل في تاريخ العرب في الإسلام»، وقال في الفصل السّادس من كتابه الذي نقدّمه هنا اليوم مُحقّقاً: «أشرتُ إلى أسماء قسم منهم في مقدّمة هذا الكتاب». وكتب في موضعٍ آخر من هذا الفصل: «لقد ألف قومٌ من علماء الأحداث والأخبار والتّاريخ في الرّدة... إنّ مؤلّفاتهم فيها لم تصل إلينا لحدّ الآن ويا للأسف، بمعنى أنّنا لا نملك كتاباً مطبوعاً منها طبعاً كاملاً، وإنّما نملك منها نُتفاً ومقتطفاتٍ طُبعت في هذه الكتب التي اقتبسْتُ منها والتي طُبعت».

كُتّب: خليفة بن خياط، والبلاذريّ، واليعقوبيّ، والدياربيّ، فقال: «والطّبريّ هو أكثر المذكورين اقتباساً واقتطاعاً من الكتب المذكورة، وقد حافظ بصورة عامّة على نقل ما اقتبسّه نقلاً بالحرف، عرفنا ذلك بمطابقة ما نقله بما نقله غيره من الكتب القديمة في الموضوع المُقتبس، وهو عمل يُقدّر ويُشكّر عليه». يوضّح هذا النّص أهمّيّة تاريخ الطّبريّ في التّدوين لحوادث الرّدة، حتّى أنّ الدّكتور جواد علي أشار إليه بكلمات الشّكر لما ورد فيه من مادّة مهمّة، مُوضّحاً سبب الشّكر والتّناء بقوله: «لأنّه قدّم لنا بذلك نصوصاً أصليّة قديمة، وأحاطنا بمادّة انفراد بها بنقله وحده»، إذن فالطّبريّ انفراد بمادّة ومعلومات مهمّة وقديمة لم يذكرها غيره من المؤلّفين الذين كتبوا في حوادث الرّدة.

وأشاد الدّكتور جواد علي بأولئك المؤلّفين الأوائل كونهم نقلوا معلوماتٍ قيّمة لولاهم ما تمّ التّعريف عليها، وقال بأنّهم: «مهدوا السّبيل للباحثين في المخطوطات في تشخيص ما قد يُعثر عليه من مخطوطات شاردة في خبايا خزائن الكتب، كما ساعدونا في الوقوف على أخبار الرّدة».

وأكد الدّكتور جواد علي على أنّ الطّبريّ هو أكثر المؤرّخين الذين دونوا لحوادث الرّدة، فقال فيه: «ولا أجد أحداً من المؤرّخين الذين طُبعت تواريخهم قد كتب عن الرّدة بقدر ما كتبه الطّبريّ عنها».

كان اهتمام جواد علي بالطّبريّ اهتماماً خاصّاً وكبيراً، وميّزه عن غيره من المؤرّخين الآخرين، وليس الأمر غريباً على مؤرّخ رائد في تدوين

التاريخ الإسلامي وهو من هو في تدوين تفاصيل القرون الثلاثة الأولى من الإسلام وما قبله.

ومع تشخيص الدكتور جواد علي مسألة مهمة تتمثل بمورد الطبري الرئيس، وهو سيف بن عمر التميمي، وأنه أشار إلى المآخذ التي ثبتت على سيف بن عمر، وأنه لم يكن ممتلئاً للثقة الكافية التي تؤهله بأن يكون معتمداً عليه في النقل، إلا أن الطبري اعتمده وأخذ عنه أكثر حوادث الردة، وهذا ما لاحظته الدكتور جواد علي مع وجود مؤلفات عن الردة لغير سيف بن عمر، إلا أن اعتماد الطبري عليه كان كبيراً في هذا المجال. وأشار جواد علي إلى ملاحظة المستشرق الألماني كارل بروكلمان التي ذكرها عن سيف بن عمر، بأنه كان مغالياً في الفخر بقبيلته، كما أشّر بروكلمان اعتماد الطبري في تاريخه على سيف بن عمر، فذكر أن الطبري اغترّ في اختياره كتب سيف مصدراً أصلاً في تاريخه... وتبع الطبري المتأخرون، فبقي سيف الأسدي إماماً في تاريخ العرب، وغلبت روايته على غيرها.

وأشار الدكتور جواد علي إلى أن سيرة ابن إسحاق واحدة من موارد الطبري، التي أخذ عنها حوادث الردة، وذكر إسناد الطبري لابن إسحاق، ومما نبه إليه جواد علي هو أن ابن النديم لم يذكر لابن إسحاق كتاباً في الردة، ولذلك احتل أن تكون معلومات ابن إسحاق عن الردة قد أخذها الطبري من سيرة ابن إسحاق، ومما أشار إليه جواد علي عن موارد الطبري في الردة، هو ذكره للمدائني، الذي عده من موارد الطبري في الردة، فقال: «وللمدائني كما ذكرت في المقدمة مؤلف في

الردة اسمه: (كتاب الردّة) وذكره النديم، يظهر أن الطبري قد استفاد منه». وبعد أن استعرض جواد علي بشيء من الإيجاز موارد الطبري في الردّة، رجّع مرة أخرى ليؤكد على سيف بن عمر، الذي فضله الطبري على غيره من الموارد الأخرى، فقال: «ولما كان تاريخ الطبري هو أوسع مؤلف مطبوع فيه أخبار الردّة، صار علمنا بأخبار الردّة من علم سيف».

استحوذ تاريخ الطبري على هوامش صفحات المخطوطة التسعين، التي كان عددها ١٠٠ هامش، فكان نصيب تاريخ الطبري من هذا العدد هو ٣٨ هامشاً، وهو ما يشكّل نسبة ٣٨٪ من الهوامش، وهي نسبة عالية، وهذا يؤشّر بالفعل أهميّة موسوعة تاريخ الطبري وحوادثه المنتهية في سنة (٣٠٢هـ)، لكلّ دارس للتاريخ الإسلامي عن المدّة السابقة لوفاة الطبري سنة (٣١٠هـ).

الردة من وجهة نظر الدكتور جواد علي:

هل تناول جواد علي الردّة بطريقة استطاع أن يأتي بأراء جديدة في موضوعها؟ أم أنه كرّر ما سبقه في إعادة الآراء المتداولة في تاريخ تتكرّر أفكاره وآراؤه ولا تعدو أن تكون مجرد نقول فقط، من دون إبداء رأي أو تحليل واضح، يُمكنه أن يُضيء جوانب جديدة من الظواهر والاحداث التاريخية ذات التنوع الكبير؟

في مسألة الردّة يرى جواد علي أن من غير الدقيق وصف من امتنع عن بيعه الخليفة أبي بكر الصديق مُرتدّاً، ويُعطي أمثلة على ذلك، منها امتناع سعد بن عبادة عن البيعة لأبي بكر وإصراره على ذلك حتّى وفاته. وبقي في نظر

المسلمين صحابياً جليلاً يُذكر بكل خير واحترام حتى أيامنا هذه، وهذا ما جرى مع صحابة آخرين فعلوا ذلك إلا أنهم لم يُوصفوا بالارتداد.

كذلك هي الحال في الامتناع عن دفع الزكاة مع إقرار بعضهم بأدائها، والرأي بتوزيعها على مُستحقيها من أبناء القبيلة نفسها، مثلما فعل مالك بن نويرة، ففي الحالة الأخيرة لا انكار لفكرة الزكاة بذاتها، إنما جرى الامتناع عن حملها إلى الخليفة، وأدى بعضهم ذلك من دون أن تُرسل إلى مركز السلطة الإسلامية في المدينة المنورة، ووُزعت في داخل القبيلة نفسها حتى يتم إقرار رأي آخر. وهناك من امتنع عن المبايعة، ولم يؤدّ الزكاة لأنه لم يكن يعترف بشرعية خلافة أبي بكر الصديق بالأصل، وهو أمر يمكن النظر به، وبعضهم كان يؤمن بنبوّة محمد (ﷺ) بوصفه رسولاً لله سبحانه، وكان يؤدّي الفرائض كالصلاة، لكنه لم يشأ إعطاء أمواله إلى الخليفة؛ لاعتقاده أن الشرع لا يُحتّم منح الأموال إلى الخليفة. ويرى أن الامتناع عن البيعة لأبي بكر ودفع الزكاة هما جوهر الخلاف لما يدعى بالردة عن الإسلام.

ويُحلّل الأمر تحليلًا يحمل عمقًا تاريخيًا عن امتناع القبائل عن مبايعة أبي بكر، ويرى أن ذلك إنما يعود إلى طبيعتها التي تميل إلى العيش بحرية داخل مضاربها وأرضها وجماعها، من دون أن تُجبر على الطاعة لآخرين بالإكراه والقوة، وأنها عند شعورها بالقوة بعد خضوعٍ تنتفض فتعود إلى سيرتها الأولى.

ويرى جواد علي أن مثل هذا الطبع أضرب بوحدة كان الإسلام فيها يحاول ترسيخها بين

العرب، فاصطدمت هذه الطبائع المائلة إلى الحرية بالمبادئ الإسلامية التي كانت تُريد «الإخاء في أمة العرب وأمة الإسلام»، كان يصعب على الأعراب فهم هذه المُستجدات، بحكم طبيعة تفكيرها واعتيادها في سياق تاريخ طويل وعدم استيعاب ما استجد. وعند وفاة الرسول (ﷺ) رأت القبائل التي أسلمت بإسلام رؤسائها (لأنّ إسلام القبائل بحسب جواد علي إنما هو إسلام الرؤساء، بحكم اتباع الافراد للرئيس) أن البيعة قد انتهت بموت عاقدها، لذا حاولت التملص من حكم قريش والرجوع إلى حياتها الأولى، فنجد عيينة بن حصن الفزاري، الحليف القديم لبني أسد، يتبع طليحة مدعي النبوة، ويرى أن أتباع نبي من بني أسد أفضل من أتباع نبي من قريش..

لم يفهم الأعرابي أن الزكاة ضريبة هدفها المصلحة العامة، وتُصرف في أوجهها المعلومة المذكورة في القرآن الكريم. فقد كان يرى أنها إتاوة مجبر على دفعها إلى قبيلة قوية؛ لأن قبيلته أضعف منها، والزكاة في نظر هؤلاء تحمل معنى الإذلال والخنوع لمن فرضها عليهم، مستذكّرين ما كان يفعله الساسانيون والروم ومن والاهم من المناذرة والغساسنة الذين كانوا يأخذونها إكراها منهم، فهي لذلك سمة للخضوع، يُضاف إلى ذلك الوضع الاقتصادي المتردي للأعرابي، فأبي مبلغ يُؤديه كان مُضراً بوضعه المعيشي، ولو كان زكاة مفروضة شرعاً، وكانت وجوه جباة الصدقات مكروهة عند الأعراب، وكانوا يحاولون الاحتيال بانقاص أنصبتها وإخراج ما هو هزيل من ماشيتهم بدل ما هو صحيح لهم، وكثيراً ما حدثت

مُشَادَاتٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجُبَاةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، مَعَ ذِكْرِهِ أَنَّ بَعْضَ الْقَبَائِلِ لَمْ يَثْبِتْ أَنَّهَا أَسْلَمَتْ حَتَّى نَقُولَ أَنَّهَا ارْتَدَّتْ، وَلَا رَدَّةَ إِلَّا بَعْدَ إِسْلَامِ.

وَيَتَنَاوَلُ جَوَادُ عَلِيٍّ أَيْضًا الْقَبَائِلَ الَّتِي زُعِمَ أَنَّهَا ارْتَدَّتْ، مُوضِّحًا أَسْمَاءَهَا وَنَوْعَ (رَدَّتْهَا)، وَلَا يَتَبَنَّى وَجْهَةَ نَظَرِ هُجُومِيَّةٍ تَتَقَنَّعُ بِالنُّصُوصِ الَّتِي يَشُوبُهَا الاضْطِرَابُ، وَمَنْ رَاوٍ يُنْظَرُ إِلَيْهِ كِرَاوٍ لَا يُمْكِنُ التَّعْوِيلُ عَلَى دَقَّةِ أَخْبَارِهِ كَسَيْفِ بْنِ عَمْرِو. أَوْ وَجْهَةَ نَظَرِ دَعَائِيَّةٍ يَتَبَنَّاها غَالِبًا بَعْضُ الْكُتَّابِ الَّذِينَ يَرُونَ - بِسَطْحِيَّةٍ - ضَرُورَةَ التَّهْجَمِ عَلَى مَنْ يَزْعَمُونَ أَنَّهم (مُبْتَدِعَةٌ) أَوْ كُفَّارٍ أَوْ زَنَادِقَةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمِصْطَلِحَاتِ، فَهُوَ لَا يَمِيلُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْأَسْلُوبِ التَّهْجَمِيِّ، بَلْ يَغُوصُ بِتَحْلِيلِ النَّصُوصِ شَارِحًا الظُّرُوفَ الْمُحِيطَةَ بِأَمْرِ الرَّدَّةِ، مُصَنِّفًا أَنْوَاعَهَا، مُوضِّحًا الدَّوَافِعَ الْعَمِيقَةَ لِلْأَمْرِ، وَبِهَذَا فَقَدْ بَدَأَ مُحَايِدًا، فَلَمْ يَسْمَحْ لِحَالَتِهِ - بِوَصْفِهِ رَجُلًا مُسْلِمًا - أَنْ تَفْرُضَ عَلَيْهِ الْإِنْحِيَاظَ فِيُهَاجِ الْآخِرِ، بَلْ تَصَرَّفَ كَمُؤَرِّخٍ يَحَاوِلُ جَهْدَهُ الْبَقَاءَ عَلَى الْحِيَادِ، وَإِعْطَاءَ الْفِكْرَةَ فَرِصَتَهَا لِلْفَهْمِ، لَا تَقْدِيمَ (الْعَقِيدَةَ) وَالنُّصُوصِ عَلَى التَّحْلِيلِ وَالْفِكْرَةِ.

وَيَرَى جَوَادُ عَلِيٍّ أَنَّ دَعَوَاتِ الْمُتَنَبِّئِينَ: الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ وَمُسَيْلَمَةَ وَطَلْحَةَ وَسَجَّاحَ، لَمْ يَكُنْ يَتَّسِمُ بِطَابَعِ وَثْنِيٍّ، أَيْ سَمَةَ التَّقَرُّبِ إِلَى الْأَصْنَامِ، مُشِيرًا إِلَى قَلَّةِ مَا وَرَدَ عَنْ دَعْوَاتِهِمْ فِي الْمَدُونَاتِ، فَمَا وَرَدَ مِنْ مَعْلُومَاتٍ عَنْهُمْ قَلِيلٌ وَلَا يُمْكِنُ الْوَثُوقُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي مِصَادِرَ لَا عِلْمَ لَهَا بِأَصُولِ دَعْوَتِهِمْ، وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْمُتَنَبِّئِينَ يُشَكُّ بِهَا، وَأَنَّ مَا نُسِبَ مِنْ قُرْآنٍ إِلَيْهِمْ أَرَادُوا بِهِ مِضَاهَاةَ كِتَابِ اللَّهِ، يَرَى أَنَّهُ مِنْ صُنْعِ أَتْبَاعِهِمْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَقَدْ

يَكُونُ مِنْ وَضْعٍ غَيْرِ أَتْبَاعِهِمْ نَسْجُوهَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى تَصْغِيرِ اسْمِ مَسْلَمَةَ وَطَلْحَةَ اِزْدِرَاءً وَسُخْرِيَّةً لِلتَّقْلِيلِ مِنْ شَأْنَهُمَا، وَأَنَّ مَا أوردَهُ أَهْلُ الْأَخْبَارِ عَنِ ارْتِدَادِ الْعَرَبِ عَامَّةً أَوْ خَاصَّةً وَ«غَلِيَانِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»، إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ الْمَأْلُوفَةِ، حِينَ نُخْبِرُ عَنْ أَمْرِ نُزَيْدِ الْمَبَالِغَةِ فِيهِ؛ لِأَنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ لَمْ تَكُنْ قَدْ أَسْلَمَتْ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا يَوْمَ وَفَاةِ الرَّسُولِ (ﷺ)، وَأَنَّ إِسْلَامَ الْقَبَائِلِ كَانَ إِسْلَامَ قَادَتِهَا، أَمَّا الْأَفْرَادُ فَإِنَّهم كَانُوا بَعِيدِينَ عَنِ الدِّينِ وَالتَّدِينِ، فَإِنَّ إِسْلَامَهُمْ كَانَ اسْمِيًّا، فَهُوَ تَدِينٌ ظَاهِرِيٌّ، وَأَنَّ سَادَةَ الْقَبَائِلِ كَانَتْ تَتَرَبَّصُ بِالإِسْلَامِ وَتَتَنَظَّرُ مَا سَيُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرَ الرَّسُولِ (ﷺ)، بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَالفَرَاغِ مِنْ تَبُوكَ وَإِسْلَامِ ثَقِيفِ، وَتَوَافِدِ وَفُودِ الْقَبَائِلِ إِلَيْهِ سَنَةَ ثَمَانَ لِلْهِجْرَةِ وَمَا بَعْدَهَا، وَلَمَّا كَانَتْ وَفَاةِ الرَّسُولِ (ﷺ) وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ، ظَنَّ مَنْ بَايَعَ الرَّسُولَ (ﷺ) أَنَّ أَمْرَ الإِسْلَامِ انْتَهَى، وَأَنَّهم أَصْبَحُوا فِي حِلٍّ مِنَ الْبَيْعَةِ، حَتَّى أَعَادَهُمُ الْخَلِيفَةُ إِلَى الطَّاعَةِ، وَوَحَّدَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ.

الخاتمة:

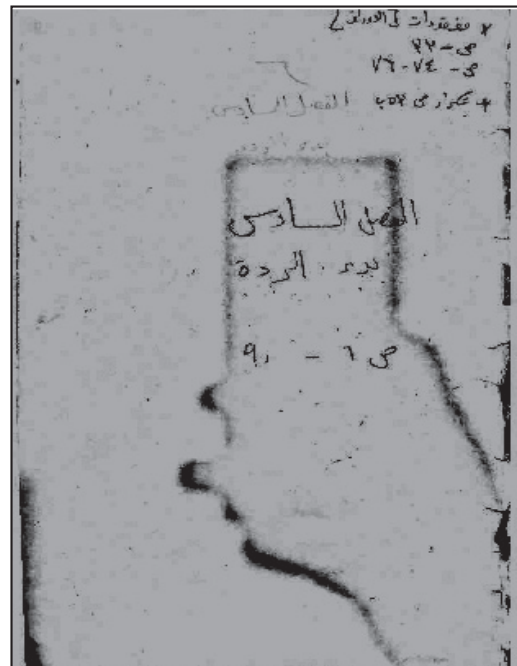
- يُعَدُّ هَذَا الْفَصْلُ الْمُقْتَطَعُ مِنْ كِتَابِ خَطِّيٍّ كَبِيرٍ مِنَ الْعُنُودَاتِ الْمَهْمَةِ، وَتَتَأْتِي أَهْمِيَّتُهُ مِنْ أَهْمِيَّةِ مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ، وَكُونَ الْمَخْطُوطَةِ جِزْءًا مِنْ كِتَابِ مُوسَعِيٍّ أَلَّفَهُ الدَّكْتُورُ جَوَادُ عَلِيٍّ، عُنْوَانُهُ: «المُفْصَلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ فِي الإِسْلَامِ»، وَهِيَ مَخْطُوطَةٌ لَمْ تُطْبَعْ بَعْدَ، وَبِهَذَا تَشْتَرِكُ أَهْمِيَّةُ الْمُؤَلِّفِ وَأَهْمِيَّةُ كِتَابِهِ غَيْرِ الْمَطْبُوعِ فِي تَحْدِيدِ أَهْمِيَّةِ هَذِهِ الْمَخْطُوطَةِ.

- الْمَخْطُوطَةُ الْمُحَقَّقَةُ كُتِبَتْ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ وَلَيْسَ لَهَا نَسْخَةٌ أُخْرَى، بَلْ هِيَ النُّسْخَةُ الْفَرِيدَةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلَمْ تُنْسخْ وَلَمْ تُطْبَعْ. وَمِنْ هُنَا نَسْتَطِيعُ

القول إنّ مثل هذه المخطوطة مهمّة.

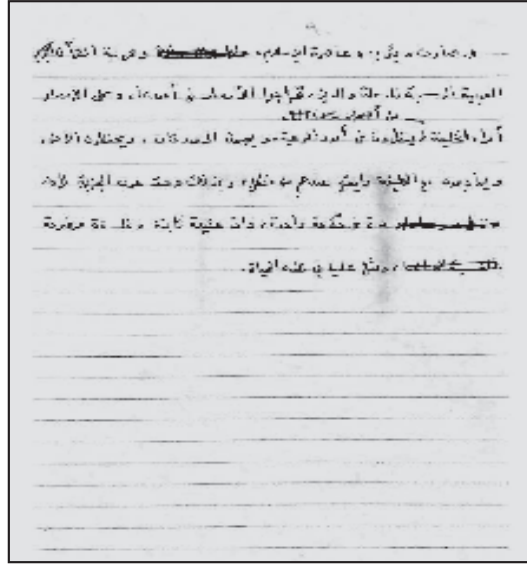
- كان للطبريّ حضورٌ مُميّز في المخطوطة بعده أهمّ موردٍ من موارد تاريخ الرّدة، بحسب الدّكتور جواد علي، وشغل الطبريّ نسبةً ٣٨٪ من موارد هذه القطعة ومراجعتها، وهذا ما أعطى أولويّةً لتاريخ الطبريّ على غيره من مصادر.

- تُعدّ شخصيّة الدّكتور جواد علي العلميّة، وبروزه وتميّزه في السّاحة العلميّة من العوامل الرّئيسة للاهتمام بنتاجه العلميّ الغزير، وإبراز شخصيّة العلميّة، والتّذكير بنتاجه العلميّ، وهذه إحدى الوصايا التي أكّد عليها بتذكّر العلماء بإحياء تراثهم وطباعته، فهو أبلغ وأكثر وقعاً من أيّ طريقة أخرى لإحياء ذكرى العلماء الرّاحلين.



الصّفحة الأولى من فصل «بدء الرّدة» وهو الفصل السّادس من مخطوطة «المفصّل في تاريخ العرب في الإسلام» للدّكتور جواد علي.. كتبت عليها ملاحظات ابنة المؤلّف (أسيل). وتاريخ ترتيبها لهذه الأوراق يوم ٢٥/١٠/١٩٩٤م.

إحدى الصّفحات الدّاخلية من مخطوطة فصل «بدء الرّدة».



الصَّفحة الأخيرة من الفصل المُحقَّق «بدء الرِّدَّة».

النَّصُّ المُحقَّق:

بدء الرِّدَّة

وقبل أن أشرعَ في تسطير أخبار الرِّدَّة، أقول: إنَّ أخبارها على العموم مُضطربة قلقة، تحتاج إلى دراسة عميقة وإلى بحث عن مواردٍ جديدةٍ لعلَّها تأتي بشيءٍ جديد، أو بشيءٍ يُصحِّح الأخطاء والتناقضات التي نراها في الروايات المُدوَّنة الواصلة إلينا، وهي روايات شأنها في نظري شأن بقيَّة أخبار ظهور الإسلام، جُمعت من الأقوال بالواسطة في الغالب، فمَسَّها بذلك مسُّ التَّغْيِير والتبَدُّل الذي يرافق الرواية عادة حين تنتقل بالأقوال، ولمستها العصبية والعواطف والأهواء، فمَنحَتْها شيئاً من هوى الرواة، الذي أبعدها عن الواقع، ثمَّ إنَّها إسلامية خالصة مئة بالمئة، ليس فيها موردٌ واحدٌ يرجع إلى مرتدٍّ من المرتدِّين الذين حافظوا على رِدَّتْهم، لنحكَم منه على ما يُسنده أهلُ الأخبار إليهم، أو إلى موردٍ من موارد المُسنَد، يتحدَّث عن هذه الأمور، والروايات الواردة من

مصادرٍ معارضةٍ مُضادَّةٍ لا يُمكن أن تعكس رأي المغلوب المقهور، بصورة صادقة دقيقة، على نحو عرض المغلوب على أمره بنفسه لها، مهما كان عليه الرَّاويةُ المُعارضُ من صدقٍ في الحديث، وأمانةٍ في التَّعبير، وذلك شيءٌ طبيعيٌّ مُسَلَّمٌ به، يحدث في كلِّ تأريخٍ يكون فيه صراع عقائديٍّ مذهبيٍّ.

والرِّدَّة في عُرْف العلماء: «من الارتداد، وقد ارتدَّ وارتدَّ عنه، تحوَّل، ومنه الرِّدَّة عن الإسلام، أي الرَّجوع عنه، وارتدَّ فلانٌ عن دينه إذا كفر بعد إسلامه»^(٢١)، «وفي التَّنزيل: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ^(٢٢))، (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)^(٢٣)، فالرِّدَّة إذن نكوصٌ ورجوعٌ عن الإسلام إلى دين الكفر، ويقتضي هذا التفسير تصوُّر أن مَنْ حاربهم أبو بكر كانوا قد عادوا إلى ما كانوا عليه قبل إسلامهم، وأنَّهم مَرَقوا من دين الله، وارتدَّوا على أعقابهم بعد أن اعتنقوا الإسلام في عهد رسول الله، وأنَّهم رغبوا عن دين الله وكفروا بما أنزل على محمَّد، بعد إسلامهم^(٢٤).

بهذا المعنى يجب أن يكون مفهومُ هذه الرِّدَّة،

(٢١) اللُّسان (٣/ ١٧٣)، (ردد)، تاج العروس (٢/ ٣٥١)، (ردد).

(٢٢) البقرة، الرِّقم ٢، الآية ٢١٧، المائدة، الرِّقم ٥، الآية ٥٤.

(٢٣) المائدة، الرِّقم ٥، الآية ٢١.

(٢٤) سُئل الإمام الباقر، الإمام الخامس عند الشَّيعة الإمامية عن المرتدِّ، فقال: «مَنْ رَغِبَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَكَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ إِسْلَامِهِ»، وسائل الشَّيعة، الحُرِّ العامليِّ (طهران ١٣٨٨ هـ)، نصوص الرِّدَّة (ص ٤٤).

التي وقعت في أوائل أيام خلافة أبي بكر، كُفراً^(٢٥) بعد إسلام، وإجحاداً^(٢٦) بدين الله حين سمعوا بوفاة رسوله، ولأجل الوقوف عليها لا بد لنا من مراجعة ما ورد عنها، وما جاء منها في المراجع القديمة وفي المؤلفات التي اقتبست منها، حتى نكون على علم وبصيرة بأمر هذه الرِّدَّة.

فأقول: لقد أَلَفَ قومٌ من علماء الأحداث والأخبار والتَّاريخ في «الرِّدَّة»، أشرتُ إلى أسماء قسم منهم في مقدِّمة هذا الكتاب، وقلتُ إنَّ مؤلِّفاتهم فيها لم تصل إلينا لحدِّ الآن ويا للأسف، بمعنى أننا لا نملك كتاباً مطبوعاً منها طبعاً كاملاً، إنَّما نملك منها نُنَقاً ومقتطفاتٍ طُبِعَت في هذه الكتب التي اقتبستُ منها والتي طُبِعَت، مثل مؤلِّفات «خليفة من خياط» المتوفَّى سنة «٢٤٠هـ»، والبلاذري، واليعقوبي، والطَّبري، والدياربيكري وغيرهم وقد أشار أصحابُ هذه المؤلِّفات إلى ما اقتطفوه بذكر سنده ومصدره، فحدِّدوا لنا بذلك ما اقتبسوه من كتب الرِّدَّة القديمة، وعرفونا بعملهم هذا على شيء من أسلوبيها ومادتها، ومهدوا السَّبيل والحاجة للباحثين في المخطوطات في تشخيص ما قد يُعثر عليه من مخطوطات شاردة في خبايا خزائن الكتب، كما ساعدونا في الوقوف على أخبار الرِّدَّة، فلولا هذه المقتطفات لما كان في إمكان المؤرِّخ الكتابة عن الرِّدَّة.

والطَّبري هو أكثر المذكورين اقتباساً واقتطاعاً من الكتب المذكورة، وقد حافظ بصورة عامَّة

(٢٥) [في الأصل. «كفر»].

(٢٦) [في الأصل. «إجحاد»].

على نقل ما اقتبسه نقلًا بالحرف، عرفنا ذلك بمطابقة ما نقله بما نقله غيره من الكتب القديمة في الموضوع المُقتبس، وهو عمل يُقدَّر ويُشكَّر عليه؛ لأنَّه قد قدَّم لنا بذلك نصوصاً أصيلةً قديمةً، وأحاطنا بمادَّة انفراد بها بنقله وحده من تلك الكتب، ولا أجدُ أحدًا من المؤرِّخين الذين طُبِعَت تواريحُهم قد كتب عن الرِّدَّة بقدر ما كتبه الطَّبري عنها.

وسنُدُّ الطَّبري في أخباره عن الرِّدَّة هو كتاب «سيف بن عمر^(٢٧)» الأسيدي أو الأسيدي التميمي المتوفَّى سنة «١٨٠هـ» عن الرِّدَّة، بالدرجة الأولى، وقد نقل منه معظم أخباره عن الرِّدَّة، وسنده في ذلك قوله: «حدَّثنا عبيدُ الله بن سعد^(٢٨)، قال: أخبرنا عمِّي، قال: حدَّثنا سيف»، وقوله: «حدَّثني السَّري بن يحيى، قال: حدَّثنا شعيب بن إبراهيم عن سيف^(٢٩)»، ويقصد بقوله: «عبيد الله بن

(٢٧) [هو سيف بن عمر الصَّبِّي الأسيدي من أهل البصرة اتُّهم بالزندقة، وكان وضاعاً للحديث. «كتاب المجروحين من المُحدِّثين والضَّعفاء والمتروكين»، ابن حَبَّان البُسَتي: ١ / ٣٤٥ - ٣٤٦. ترجمة ٤٤٣].

(٢٨) [هو أبو الفضل عبد الله بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف الزَّهري، سمع عمَّه يعقوب، وروح بن عُبادة، وروى عنه البخاريُّ في صحيحه، وحدَّث عنه كثيرون، مات سنة ٢٦٠هـ. «تاريخ بغداد وذيوله»، الخطيب البغدادي: ١٠ / ٣٢٤. ترجمة ٥٤٦٦].

(٢٩) الطَّبري (٣ / ٢٢٣)، (١ / ١٨٤٥)، (٣ / ٢٣٦ وما بعدها)، (١ / ١٨٦٤)، (٣ / ٢٤٤)، (١ / ١٨٧٣ وما بعدها)، (٣ / ٢٤٨)، (١ / ١٨٧٩ وما بعدها)، (٣ / ٣٠١)، (١ / ١٩٥٨)، ومواضع عديدة أخرى.

سعد»، «عبيد الله بن سعد الزَّهْرِيُّ»^(٣٠).

ولا بدّ وأن يكون للطَّبري رأي في تقديمه «سيف بن عمر» على غيره في رواية أخبار الرِّدَّة، فأكثر أخبار الرِّدَّة ترجع إلى سيف، وقد كانت لدى الطَّبري مؤلَّفات لغيره من العلماء في الرِّدَّة، مثل كتاب أبي مَخْنَفٍ المَتَوَفَّى سنة ١٠٧ هـ «في الرِّدَّة»، وقد ذكره الطَّبري في تاريخه في باب الرِّدَّة، برواية «هشام بن الكلبي»^(٣١)، وذكر الطَّبري «ابن الكلبي» وحده، بقوله: «وأما هشام بن الكلبي: فإنَّه زعم»^(٣٢)، ويقول: «وقال هشام بن محمَّد: قدم»^(٣٣)، ممَّا يُشير إلى أنَّ «ابن الكلبي» كان له مؤلَّف في الرِّدَّة، وأنَّه لم يقصد روايته من كتاب أبي مَخْنَفٍ^(٣٤)، فلو كان قصد ذلك لما أهمل اسم «أبي مَخْنَفٍ» وقد ذكره حينما كان يروي نقله عن «ابن الكلبي» خبر الرِّدَّة عن «أبي مَخْنَفٍ»، وإذا صحَّ هذا الاستنتاج نكون قد وقفنا على

(٣٠) الطَّبري (٣ / ٣٠١)، (١ / ١٩٥٨).

(٣١) «قال هشام: قال أبو مَخْنَفٍ»، الطَّبري (٣ / ٢٥٤)، (١ / ١٨٨٨)، (٣ / ٢٥٥)، (١ / ١٨٨٩).

(٣٢) الطَّبري (٣ / ٢٥٤)، (١ / ١٨٨٧)، (٣ / ٢٥٥)، (١ / ١٨٧٩ م).

(٣٣) الطَّبري (٣ / ٣٣٧)، (١ / ٢٠٠٨)، (٣ / ٢٧٤)، (١ / ١٩٨٩).

(٣٤) [هو لوط بن يحيى بن مَخْنَفٍ بن سليمان بن الحارث الأزدي، يُكنى أبا مَخْنَفٍ، ومَخْنَفٍ بن سليمان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وقد روى عن النبي، مات أبو مَخْنَفٍ سنة ١٥٧ هـ، وكان راويًّا وأخباريًّا وصاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام، وقال العلماء: أبو مَخْنَفٍ أعلم بتاريخ العراق وفتوحه وأخباره، وهو أكثر من غيره علمًا بأخبار العراق. «معجم الأدباء»، ياقوت الحموي: ٥ / ٢٢٥٢. ترجمة ٩٢٦].

كتابٍ آخر من كتب ابن الكلبي التي لم يُشر إليها «النديم»، فقد عرفنا له كتابًا آخر في فتوح الشَّام، لم يذكره «النديم» كذلك، وإنَّما ذكره «ابن حجر» لأنَّه نقل منه^(٣٥)، غير أنَّ «النديم» ذكر لهشام بن الكلبي، اسم كتاب يتناول ناحية من نواحي الرِّدَّة سمَّاه: «كتاب مُسَيِّمَةَ الكَذَّاب»^(٣٦)، قد يكون هو الكتاب الذي أخذ منه الطَّبري بعض أخباره غير أنَّه لم يُشر إليه، مُكتفياً بالإشارة إلى اسم صاحبه، وقد يكون قد أخذه من «كتاب الرِّدَّة» الذي ذكره النَّجاشي له^(٣٧)، والنَّجاشي من علماء الرِّجال المعروفين عند الشيعة.

وقد أشرتُ في مقدِّمة هذا الكتاب إلى مؤلِّف لأبي مَخْنَفٍ في موضوع الرِّدَّة، سمَّاه «النديم» كتاب الرِّدَّة^(٣٨)، فيكون الطَّبري قد وقف عليه وأخذ منه برواية «ابن الكلبي»، ولذلك ذكر اسمه في سَنَدِهِ. وللعلماء في وثوقهم بسيف كلام، وقد انصبَّ معظم كلامهم عن وثوقه في الحديث، فهو «متروك الحديث»، عند بعض، و «ضعيف» عند بعض، ومُتَّهَم بالزُّندقة^(٣٩) متروك الحديث ساقط الرواية

(٣٥) الإصابة (١ / ٣٧٣)، (رقم ١٩٥٣).

(٣٦) الفهرست (ص ١٤٨)، (الطبعة المصرية)، (ص ١١٠)، (طبعة طهران).

(٣٧) نصوص الرِّدَّة في تاريخ الطَّبري، تأليف الشَّيخ محمَّد حسن آل ياسين، (ص ٣٧)، (بغداد ١٩٧٧ م)، نقلًا عن رجال النَّجاشي (الهند ١٣١٧ هـ).

(٣٨) الفهرست (ص ١٠٥)، (طبعة طهران).

(٣٩) [الزُّندقة: الزُّنديق من الثَّنويَّة وهو مُعَرَّب، والجمع زنادقة، والهاء عوض من الياء المحذوفة، وأصله الزُّنادق، وقد تزندق والاسم زندقة. «الصَّحاح»، الجوهري: ٤ / ١٤٨٩].

عن نفر، وقد ذكره «ابن حجر» في الإصابة بعد أن أخذ من كتابه: «الفتوح»، عن «الققعاق بن عمرو التميمي»، وهو مثله من تميم، فذكر حديثاً رواه سيف، ثم استدرج عليه بقوله: «وسيف متروك فبطل الحديث، وإنما ذكرناه للمعرفة»، و«قال ابن السكّن: سيف بن عمر ضعيف»^(٤٠)، وفي الذي ذكره «سيف» عن «الققعاق» مبالغة، وكان يُبالغ في مآثر تميم في الفتوح وفي المآثر الأخرى، ومن هنا قال عنه «بروكلمان»: «كان سيف مُغالياً في الفخر بقبيلته، فكان يُحرّف الأحاديث والأحداث، يُعظّم بعضاً ويُحقّر بعضاً، ولكنه كان يُحسن الوصف والبيان، فاغترّ الطّبريُّ بذلك واختار كتبه مصدراً أصيلاً في تاريخه لما روى من الوقائع في أوائل الإسلام، وتبع الطّبريُّ المتأخرون، فبقي سيف الأسديّ إماماً في تاريخ العرب، وغلبت روايته على غيرها»^(٤١).

واستقى الطّبريُّ بعض أخبار الرّدة من «ابن إسحاق»^(٤٢) «المُنَوِّف سنة ١٥١ هـ» أو «١٥٢ هـ»، بسند «ابن حُميد» عن «سلمة» عن «محمد بن

(٤٠) الإصابة (٣ / ٢٣٠)، (رقم ٧١٢٩).

(٤١) بروكلمان (٣ / ٣٦).

(٤٢) [هو محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن المُطلب بن عبد مناف بن قصي، يُكنى بأبي عبد الله، وجده يسار من سببي عين التمر، وهو أول من جمع المغازي وألّف بها، وكان بالجزيرة وورد الحيرة وسمع المغازي، كما سمعها من أهل الكوفة، وارتحل إلى مدن عدّة، ومنها بغداد التي مات فيها سنة ١٥٠ هـ، ودُفن بمقابر الخيزران، وكان كثير الحديث. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٤٠٠ / ١. ترجمة ٣٣٠].

إسحاق»^(٤٣)، ولم يُشر «النديم»^(٤٤) إلى مؤلّف لابن إسحاق في الرّدة، ولكنه ذكر أنّ له «من الكتب، كتاب الخلفاء، رواه عنه الأمويّ»^(٤٥)، فلعلّ «الطّبري» نقل من هذا الكتاب، وقد يكون قد أخذ أخباره من كتابه في السيرة.

وأخذ الطّبريُّ بعض أخبارها من «علي بن محمّد» أبو الحسن المدائني^(٤٦)، المُتَوِّف سنة «٢١٥ هـ»، أو «٢٢٥ هـ»^(٤٧)، وقد أشار إليه في مواضع من الرّدة^(٤٨)، وللمدائني كما ذكرت في المقدمة مؤلّف في الرّدة اسمه «كتاب الرّدة» ذكره «النديم»^(٤٩)، يظهر أنّ الطّبري قد استفاد منه.

(٤٣) الطّبري (٣ / ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣١٣، ٣٣٩ ومواضع أخرى).

(٤٤) [هو الذي يُنادمك ويُشاركك، ويُقال: إن اشتقاق النديم من الندم؛ لأنّ الشريكين يكون من أحدهما بعض ما يندم عليه. «شمس العلوم»، نشوان الحميري: ١٠ / ٦٥٤٠].

(٤٥) الفهرست (ص ١٠٥)، (طبعة طهران).

(٤٦) [هو علي بن محمّد بن عبد الله بن أبي سيف أبو الحسن، المعروف بـ: المدائني، مولى لعبد الرحمن بن سمرة القرشي، وهو بصريّ سكن المدائن، ثمّ انتقل إلى بغداد، وسكنها حتّى وفاته، له كتب ومُصنّفات، روى عن عدد من العلماء، وروى عنه تلامذة كثيرون، مات سنة ٢٢٥ هـ، عن عمر ٩٣ عاماً. «تاريخ بغداد»، الخطيب البغدادي: ١٢ / ٥١٦ ترجمة ٦٣٩١].

(٤٧) الفهرست (ص ١٥٣)، (طبعة القاهرة)، (١١٣) طبعة طهران).

(٤٨) الطّبري (٣ / ٢٤٠)، (١ / ١٨٦٨)، (٣ / ٢٤١)، (١ / ١٨٦٩)، (٣ / ٣١٣)، (١ / ١٩٧٦).

(٤٩) الفهرست (١٥٥)، (طبعة مصر)، (١١٥)، (طبعة طهران).

إذن، فنحن حين نتحدث في هذا اليوم عن الرّدة، فإنّما نتحدث عنها: حسب مرويات «سيف بن عمر» في الغالب، بسبب أنّ تاريخ الطّبري اعتمد عليه وقدمه على غيره، وصير معظم أخباره عنها مُستندةً على رواياته، ولما كان تاريخ الطّبري هو أوسع مؤلّف مطبوع فيه أخبار الرّدة، صار علمنا بأخبار الرّدة من علم «سيف».

أقول بعد هذه الملاحظات التي ذكرتها عن موارد الطّبري في أخباره عن الرّدة، إنّ وقع وفاة النّبّي على المؤمنین كان عظيمًا، ولا سيما على المدركين لحالة المسلمين حين وقوع الوفاة، وعلى العارفين بحقيقة الوضع، وما ستحدثه وفاته من أثر على جمع شمل الصحابة، وعلى قيادة الأمة، وعلى الذين كان إسلامهم باللسان، وهم في قلوبهم كفرٌ يريدون فرصة للتخلّص من قواعد الإسلام وأصوله، ولا سيما دفع الزّكاة، ومن عُقدة النّفور من الطّاعة للحاكم الذي يكون غريبًا عن القبيلة، فالحرّيّة عند الأعراب حرّيّة في نطاق القبيلة، ومفهوم الأمة بالمعنى الإسلاميّ مفهوم غريب عنها، لا يمكن أن تستسيغه وتهضمه، وهذا ما كان يعرفه خاصّة أصحاب الرّسول، فكانوا يخافون من وقوعه، ويعملون على صده، وقد صدّوه.

وقد وصفت «عائشة» زوج الرّسول وابنة الخليفة، والتي في بيتها مات رسول الله، الحالة التي صار عليها المسلمون يوم وفاة النّبّي وتولي والدها الخلافة، وصفًا بليغًا مؤثّرًا، جاء على لسان «ابن إسحاق» في سيرة «ابن هشام» وفي غيرها، هو على إيجازه، ذو معانٍ عميقة، هذا نصّه: «لَمَّا تُوِّفِيَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ)، به ارتدّت

العرب، وشرأبت اليهوديّة والنّصرانيّة، ونَجَمَ النّفاق، وصار المسلمون كالغنم المَطيّرة في اللّيلة الشّاتيّة لفقد نبيّهم، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتّى جمعهم اللَّهُ على أبي بكر، فلقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبّال الرّاسيات لهاضها»^(٥٠)، «اشرأبّ النّفاق بالمدينة، وارتدّت العرب، فوالله ما اختلفوا في لفظة إلاّ طار أبي إلى أعظمها في الإسلام»^(٥١).

ويُحدّثنا سيفٌ أنّ «أسامة^(٥٢)» لما فصلَ عن المدينة: «كفرت الأرض وتضرّمت، وارتدّت من كلّ قبيلة عامّة أو خاصّة إلاّ قريشًا وثقيفًا»^(٥٣)، فهذا هو وصف «سيف بن عمر» لوضع المسلمين حين فصلَ «أسامة» عن يثرب، تنفيذًا لأمر الخليفة، وقد رواه عن «المجالد بن سعيد».

ولما خرج أبو بكر إلى نبي القصّة^(٥٤) يريد مُجابهة أهل الرّدة، قال له المسلمون: «إنّك لا تصنع بالمسير شيئًا»، «ارجع إلى المدينة فإنّك

(٥٠) ابن هشام (٢/ ٣٧٧)، الطّبري (٣/ ٢٢٥)، (١/ ١٨٤٨)، ابن خلدون (٢/ ٨٥٦)، تاريخ الخميس (٢/ ٢٠١).

(٥١) تاريخ خليفة (١/ ٦٦).

(٥٢) [هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب، أمّه أم أيمن حاضنة رسول الله (ص)، يُكنّى بأبي محمّد، استعمله النّبّي وهو ابن ١٨ عامًا، وكان أسودًا أفطسًا، توفّي سنة ٥٩هـ، آخر أيام معاوية. «أسد الغابة»، ابن الأثير: ١/ ١٩٤. ترجمة ٨٤].

(٥٣) الطّبري (٣/ ٢٤٢)، (١/ ١٨٧١)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٣١).

(٥٤) [ذو القصّة: بفتح القاف والصّاد المُهمّلة، موضعٌ قريب من المدينة، بينه وبين المدينة أربعة عشر ميلًا. «سبل الهدى والرّشاد»، الصّالحيّ الشّاميّ: ٦/ ٧٩].

فظهر عَتَابُ بن أُسَيْدٍ^(٥٩) وأضيف إلى ذلك في رواية أخرى، أَنَّ سهيل بن عمرو^(٦٠)، قال: «والله إِنِّي لأعلمُ أَنَّ هذا الدين سيمتدُّ امتدادَ الشمس في طلوعها إلى غروبها، فلا يغرّنكم من أنفسكم - يعني أبا سُفْيَانَ - فَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ من هذا الأمر ما أعلمُ، ولكنّه قد جثّم على صدره حسدُ بني هاشم^(٦١)، وقيل إِنَّه قال أيضًا: «مَنْ كان يعبدُ محمّدًا، فَإِنَّ محمّدًا قد مات، وَمَنْ كان يعبدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت»^(٦٢).

(٥٩) ابن هشام (٢ / ٣٧٧)، تاريخ الخميس (١ / ٢٠١).
(٦٠) [هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن حسل بن لؤي، أمه أسماء بنت الحارث بن نوفل، خرج من مكّة إلى حنين مع النَّبِيِّ (ص)]. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٣ / ٣٠٩. ترجمة ٧٦، ٦ / ٩. ترجمة ١٥٠٠.

(٦١) الاستيعاب (٢ / ١٠٩).

(٦٢) الإصابة (٢ / ٩٢)، (رقم ٣٥٧٣)، «إنّه عليه السّلام لما توفّي وارتدت العرب، جال أهل مكّة جولةً، وهموا بالردّة، فاستخفى عَتَابُ بن أُسَيْدٍ عاملُ رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، على مكّة، فقام سهيل بن عمرو فيهم خطيبًا ونهاهم عن ذلك، فقالوا: محمّد قد مات والنّاس قد رجعوا عن دينه، فقال لهم سهيل: إن يكن محمّد قد مات فإن الله لم يمّت. وقد علمتم أنّي أكثركم قتبا في برّ وجارية في بحر، فأقرّوا أميركم، وأنا ضامن إن لم يتمّ هذا الأمر أن أردّها عليكم جدّعةً، وإن كنت أعلم أنّ هذا الدين سيمتدّد من طلوع الشمس إلى غروبها، قالوا: ومن أين علمت، قال: إِنِّي رأيتُ رجلاً واحداً وحيداً لا مال له ولا عرّ، قام في ظلّ هذا البيت فقال: إِنِّي رسول الله، وإني سأظهرُ، فكنا بين ضاحكٍ وهازلٍ وراجمٍ ومُستجهِلٍ، فما زال أمره ينمى ويصعد حتّى بنا له طوعاً وكرهاً، والله لو كان من عند غير الله لكان كالكسرة في يدي أيّ فتى من فتیان قريش، وإنّ هذا، وأشار إلى أبي سُفْيَانَ، ليعلم من هذا الأمر مثل ما أعلم، ولكن قد ختم على قلبه حسدُ بني عبد المطلب»، تثبيت دلائل النّبوة (٢ / ٣١٧ وما بعدها).

تركها تغلي بالنّفاق^(٥٥)، وفي هذا القول اعترافٌ بما كان عليه الوضع من سوءٍ، إلى درجة أنّ المدينة نفسها، وفيها خليفةُ رسول الله، وعليها كان واجب القضاء على الفتن، صارت هي ذاتها مركزاً، يفور فيه النّفاق، فكان على الخليفة إخماد هذا النّفاق أولاً، والقضاء عليه، لأنّ الفتنة في دار الخلافة، فلا بدّ من مُعالجتها قبل البدء^(٥٦) بمعالجة الفتن المترصدة له حول المدينة من بعض أعرابها النّازلين حولها^(٥٧)، ومن الأعراب الذين اعتبروا وفاة الرّسول براءة ذمّة لهم، أحلت لهم خلع البيعة له من أعناقهم، لأنّهم بايعوا رسول الله حياً، وقد قضت وفاته على حقّ البيعة بهذه الوفاة.

ونجم النّفاق بمكّة كذلك كما تقول رواية، وهي دار الرّسول ومنزل قريش، فقد روى «ابن هشام» عن «أبي عبيدة وغيره من أهل العلم أنّ أكثر أهل مكّة لما توفّي رسول الله، (ﷺ)، هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك حتّى خافهم عَتَابُ بن أُسَيْدٍ^(٥٨)، فتواری، فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ ذكر وفاة رسول الله، وقال: ذلك لم يزد الإسلام إلاّ قوّةً، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع النّاس وكفّوا عمّا هموا،

(٥٥) تاريخ خليفة (١ / ٦٧).

(٥٦) [في الأصل: «البدأ»].

(٥٧) «وارتدّ من ارتدّ من أحياء العرب حول المدينة»، البداية (٦ / ٣٠٤).

(٥٨) [هو عَتَابُ بن أُسَيْدٍ بن أبي العيص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أمه أروى بنت عمرو بن أميّة، أسلم يوم الفتح، واستعمله رسول الله (ص) على مكّة للصلاة بالنّاس، وقبض رسول الله (ص) وعَتَابُ والياً على مكّة. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٦ / ٥. ترجمة ١٤٨٥].

منهم، فقال: يا معشر ثقيف^(٧٠)، نشدتكم الله أن تكونوا أول العرب ارتدادًا وآخرهم إسلامًا^(٧١)، فسكنوا وبقوا على إسلامهم.

هذا ما كان من أمر المدينة ومن أمر مكة والطائف^(٧٢)، وهي المراكز الحضريّة التي عمل فيها الرسول على إظهار الإسلام، كانت مكة مهد الرسالة، وكانت الطائف المركز الذي زاره الرسول على أمل نيل مساعدته وتعضيده في نشر الإسلام، فلم يجد فيه ما أمله، فعاد مُدْمَى القدمين حزينًا، حتّى دخلت بعد الفتح بغلبة المسلمين عليها في الإسلام، وأمّا المدينة، ففيها استقرّ الإسلام، ومنها سارت مغازي الرسول لإسكات أعداء الله. ولما أرسل أبو بكر كُتِبَ إلى أهل الرّدة، يُحذّرهم فيها الفتنّة، ويُنذّرهم بإرسال الجيوش عليهم، كان في جُمْلَةٍ ما كتبه إليهم: «وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به»^(٧٣)، وكان في جُمْلَةٍ ما كتبه إلى أمراء الجنود: «وأمره بالجدّ في أمر الله، ومجاهدة من تولّى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أمانيّ الشيطان»^(٧٤).

(٧٠) [ثقيف: هي إحدى القبائل العربيّة الكبيرة التي تنتسب إلى بني منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خضعة بن قيس عيلان، وهم ثقيف. «جمهرة أنساب العرب»، ابن حزم: ١ / ٢٦٦].

(٧١) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(٧٢) [الطائف: في الإقليم الثّاني ذات مزارع ونخل وأعناب، جلّ أهلها من ثقيف. «معجم البلدان»، ياقوت الحمويّ، ٤ / ٨].

(٧٣) الطّبريّ (٣ / ٢٥١)، (١ / ١٨٨٣).

(٧٤) الطّبريّ (٣ / ٢٥١ وما بعدها)، (١ / ١٨٨٤).

ثمّ نقرأ في موردٍ أنّه «لما قبض رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وانتشر خبر وفاته ارتدّ عامّة العرب إلّا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس^(٦٣)»^(٦٤)، بينما نقرأ في موردٍ آخر: «وارتدّ أهل اليمامة كلّهم وأهل البحرين وبكر بن وائل»^(٦٥)، ونقرأ في رواية أخرى أنّ أهل البحرين ارتدّوا بعد وفاة «المنذر بن ساوى»^(٦٦)، «فأمّا عبد القيس ففأدت، وأمّا بكر فتمّت على ردتها، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود حتّى فاءوا»^(٦٧).

وهمّت ثقيف بالرّدة، فردّهم عن ذلك عثمان بن أبي العاص الثّقفيّ، عامل رسول الله عليهم. قال لهم: «كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أولهم ارتدادًا»^(٦٨)، وقيل: «قام فيهم عثمان بن أبي العاص من بني مالك»^(٦٩)، وقام في الأحلاف رجلٌ

(٦٣) [عبد القيس بن قُصي بن بديلة بن ربيعة بن نؤار المشهورة، وتتكوّن عبد القيس من قبائل عدّة مثل: بنو دهن بن وديعة، وبنو عصر بن عوف، وبنو شن بن أفضى. «جمهرة أنساب العرب»، ابن حزم: ١ / ٤٦٩].

(٦٤) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠١).

(٦٥) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(٦٦) [هو المنذر بن ساوى بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم التميميّ الدّارميّ، صاحب البحرين، وكان عامل النّبويّ (ص) عليها. «أسد الغابة»، ابن الأثير: ٥ / ٢٥٥].

ترجمة ٥١٠٦].

(٦٧) الطّبريّ (٣ / ٣٠١)، (١ / ١٩٥٨).

(٦٨) الإصابة (٢ / ٤٥٣)، (رقم ٥٤٤٣).

(٦٩) [بنو مالك: هم بنو مالك بن عمرو بن بن تميم، وهم كلّ من: مازن والحرماز وغيلان وغسان. «جمهرة أنساب العرب»، ابن حزم: ١ / ٢١١-٢١٣].

شريكَ عمرَ في الجاهليَّة في تجارة البُرِّ^(٧٨)، فأرسله رسولاً إلى المَقوِّس^(٧٩) صاحب الإسكندريَّة، سنة خمس عشرة^(٨٠).

وبما جاء من أنَّ أبا بكر لما أقام بالمدينة بعد وفاة رسول الله وتوجيهه أسامة في جيشه إلى حيث قُتل أبوه «زيد بن حارثة^(٨١)» من أرض الشَّام، «جاءته وفودُ العرب مرتدين يُقرِّون بالصَّلَاة، ويمنعون الزَّكاة، فلم يقبل ذلك منهم، وردَّهم»، «يقولون: نُصلي ولا نُزكي»، «فلم يقبل ذلك منهم وردَّهم»^(٨٢)، وبما ذكره الطَّبْرِيُّ من أنَّ أبا بكر لما أرسل «عدي بن حاتم الطَّائِي^(٨٣)» إلى قومه، وقدم

(٧٨) [صُرِبُ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْبِزَازَةُ حَرْفَةُ الْبَزَازِ، وَتَأْتِي بِمَعْنَى ضَرْبِ الْمَتَاعِ. «كِتَابُ الْعَيْنِ»، الْفَرَاهِيدِيُّ: ٧ / ٣٥٣.]

(٧٩) [المَقوِّسُ هُوَ صَاحِبُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ الَّذِي أَهْدَى رَسُولَ اللَّهِ (ص) مَارِيَّةَ الْقِبْطِيَّةِ الَّتِي وَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ. «مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ»، ابْنُ مَنْدَه: ١ / ٩٧١.]

(٨٠) [الإصابة (٣ / ٢٨٢ وما بعدها)، (رقم ٧٤٢٢). (٨١) [زيد بن حارثة: مولى رسول الله (ص) استشهد في يوم مؤتة سنة ٨ هـ في حياة رسول الله (ص). «الثَّقَاتُ»، الْعَجَلِيُّ: ١ / ١٧١. ترجمة ٤٥٨.]

(٨٢) [الطَّبْرِيُّ (٣ / ٢٤١)، (١ / ١٨٧٠)، تاريخ خليفة (١ / ٦٥)، الاستبصار (١٧٦)، فتوح البلدان (١٠٣)، المعارف (١٧٠)، تاريخ الخلفاء (ص ٤٩).]

(٨٣) [عدي بن حاتم الطَّائِي: هو أحد بني ثعل، يُكنى بالحريف، نزل الكوفة وابتنى بها داراً في طيء، ولم يزل مع علي بن أبي طالب، وشهد معه الجمل وصيفين، مات بالكوفة زمن المختار الثقفي سنة ٦٨ هـ. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٦ / ٩٩ ترجمة ١٨٥١.]

وليس في هذا المذكور عن الرِّدَّة تحديد دقيق للكلمة، فاللفظة عامَّة، لا تُفيد تحديداً، ولا بدَّ لتحديدِها من الاستعانة بروايات أخرى، مثل رواية «يعقوب بن محمَّد الزَّهْرِيُّ» من «أنَّ العرب افتترقت في ردتها، فقالت فرقة: لو كان نبياً ما مات، وقال بعضهم انقضت النبوة بموته، فلا نُطيع أحداً بعده، وقال بعضهم نُؤمن بالله. وقال بعضهم نُؤمن بالله ونشهد أنَّ محمداً رسول الله ونُصلي، ولكن لا نُعطيكم أموالنا، فأبى أبو بكر إلا قتالهم»^(٧٥).

وَزُعِمَ أَنَّ وَفَدَ الْحَيْرَةَ الَّذِي كَانَ فِيهِ «كَعْبُ بْنُ عَدِي التَّنُوخِيِّ^(٧٦)» الَّذِي كَانَ قَدِ قَدِمَ عَلَى الرَّسُولِ وَأَسْلَمَ، لَمَّا عَادَ إِلَى الْحَيْرَةِ^(٧٧) مَا لَبِثَ أَنْ سَمِعَ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَارْتَابَ أَصْحَابُ كَعْبٍ «وَقَالُوا: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَمِتْ»، وَارْتَدَّوْا، وَثَبَتَ كَعْبُ عَلَى إِسْلَامِهِ، وَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَقِيلَ عَلَى عَمْرٍ، وَكَانَ

(٧٥) [تاريخ الخميس (٢ / ٢٠١)، ترجمة تاريخ أعثم كوفي، تأليف خواجه محمَّد بن علي، معاصر أوائل قرن جهارم هجرت، (كتابفروشي أدبية، ناصري خسرو)، (تهران)، (ص ٥).]

(٧٦) [كعب بن عدي التَّنُوخِيُّ: هو كعب بن عدي بن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن ملكان بن زيد اللات، ويُقال له التَّنُوخِيُّ لِأَنَّ مَلِكَانَ بْنَ عَوْفٍ حَلَفَاءَ تَنُوخٍ، شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَكَانَ وَلَدَهُ بِمِصْرَ، وَحَدَّثَ بِهَا. «الإصابة في تمييز الصحابة»، ابن حجر العسقلاني: ٥ / ٤٤٩. ترجمة ٧٤٣٥.]

(٧٧) [الحيرة: بالكسر ثم السكون وراء، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، في موضع يُقال له النَّجْفُ، وفيها الحَوْرَنِيُّ. «معجم الأديباء»، ياقوت الحموي: ٢ / ٣٢٨.]

عليهم «فدعاهم فقالوا: لا نُبائع أبا الفصيل»^(٨٤)
أبداً»^(٨٥)، ومن قول الطبري أيضاً: وقال عبد الله
الليثي، وكانت بنو عبد مناة من المرتدة- وهم بنو
ذبيان- في ذلك الأمر بذى القصة وبذى حسي:

أَطْعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا

فِيَا لِعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ
أَيُورِثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ
وَتَلَكَ لَعَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَهَلَّا رَدَدْتُمْ وَفَدْنَا بِزَمَانِهِ
وَهَلَّا خَشِيتُمْ حَسَّ رَاغِبَةَ الْبَكْرِ
وَإِنَّ التِّي سَأَلُوكُمْ فَمَنْعْتُمْ

لِكَالتَّمْرِ أَوْ أَحَلَّى إِلَيَّ مِنَ التَّمْرِ»^(٨٦)

وفي رواية أخرى للطبري عن «أبي مخنف»

(٨٤) [المقصود بأبي الفصيل أبو بكر، والمراد هنا أنهم
لا يبياعون أبا بكر أبداً. «الثقات»، ابن حبان: ٢ / ١٦٦].
(٨٥) الطبري (٣ / ٢٥٣)، (١ / ١٨٨٦).
(٨٦) الطبري (٣ / ٢٤٦)، (١ / ١٨٧٦)، (ليدن)،
(للخطيئة)، الأغاني (٢ / ١٥٧)، البداية والنهاية (٦ /
٣١٣)، الأحكام السلطانية (٤٧)، «وقد أبان عن إسلامهم
قول زعيمهم: حارثة بن سراقه في شعره حين يقول (من
الطويل):

أَلَا فَاضْبِحِينَا قَبْلَ نَائِرَةِ الْفَجْرِ

لَعَلَّ الْمَنَايَا قَرِيبٌ وَلَا نَدْرِي

أَطْعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا

فِيَا عَجَبًا مَا بِالْمُلْكِ أَبِي بَكْرٍ

فَإِنَّ الَّذِي سَأَلُوكُمْ فَمَنْعْتُمُو

لِكَالتَّمْرِ أَوْ أَحَلَّى إِلَيْهِمْ مِنَ التَّمْرِ

سَنَمْنَعُكُمْ مَا كَانَ فِيْنَا بَقِيَّة

كَرَامَ عَلَى الْعَزَاءِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ»

الأحكام السلطانية (٥٨).

أَنَّ أَسَدًا^(٨٧) وَفَزَارَةَ كَانُوا يَقُولُونَ: «لَا وَاللَّهِ لَا نُبَائِعُ
أَبَا الْفَصِيلِ أَبَدًا. فَتَقُولُ لَهُمْ خَيْلُ طِيءٍ: أَشْهَدُ
لِيَقَاتِلَنَّكُمْ حَتَّى تُكُونُوا أَبَا الْفَحْلِ الْأَكْبَرِ»^(٨٨).

وما جاء في روايات أخرى من أن بعض القبائل
كانت تتربص الأمور تنظر «لمن تكون الدبرة»،
وقدموا رجلاً وأخروا أخرى»^(٨٩)، وحبس بعض
من سادتهم صدقات قومهم وفرقوها بين قومهم،
كما فعل مالك بن نويرة^(٩٠)، وقيس بن عاصم^(٩١)،
والأقرع بن حابس^(٩٢) وهم من تميم^(٩٣)، وأخذ

(٨٧) [بنو أسد: هم بنو خزيمه، وولد أسد بن خزيمه،
هم: دودان، وكاهل، وعمرو، وصعب، وحمله، وغيرهم.
«جمهرة أنساب العرب»، ابن حزم: ١ / ١٩٠].

(٨٨) الطبري (٣ / ٢٥٥)، (١ / ١٨٩٠).

(٨٩) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(٩٠) [مالك بن نويرة: هو مالك بن نويرة بن جمره بن
شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي،
استعمله النبي (ص) على بعض صدقات بني تميم، قتله
خالد بن الوليد. «أسد الغابة»، ابن الأثير: ٥ / ٤٨ ترجمة
٤٦٥٤].

(٩١) [قيس بن عاصم: هو أبو علي المنقري من أصحاب
النبي (ص) من بني تميم، أبو طليحة السعدي البصري،
روى عن النبي، وروى عنه ابنه حكيم وغيره. «غنية
المؤتمس إيضاح المؤتمس»، الخطيب البغدادي: ١ / ٣٢٦
ترجمة ٤٤٢].

(٩٢) [الأقرع بن حابس بن عقاب بن محمد بن سفیان
من بني تميم الذين قدموا إلى رسول الله (ص)، بعد عودته
من تبوك، فأسلم ونزل أرض بني تميم ببادية البصرة.
«الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٧ / ٢٧ ترجمة ٢٨٦١].

(٩٣) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢ وما بعدها).

«خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري»^(٩٤)، ما كان قد أخذه «نوفل بن معاوية الديلي»^(٩٥)، من صدقات، فردّها على أربابها، وكذلك فعلت «سليم» بعرباض بن سارية^(٩٦).

وما جاء في تاريخ الطبري عن ردة أهل البحرين بقوله: «واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدت، فقالوا: نردّ الملك في آل المنذر، فملّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر»^(٩٧)، فهذه ردة كما يرى أهل الأخبار.

وبما قاله «الطبري» كذلك عن «عبيدة»، فلما مات رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، قام عبيدة بن حصن في غطفان، فقال: ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد، وإنّي لمجدّد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة، والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحبّ إلينا من أن نتبع نبياً من قريش، وقد مات محمّد، وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه، ففعل وفعلوا»^(٩٨).

(٩٤) [هو أبو حذيفة خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن محمود الفزاري، قديم على الرسول بعد عودته من تبوك فأسلم. «أسد الغابة»، ابن الأثير: ١٠٧ / ٢ ترجمة ١٣٢٨].

(٩٥) [نوفل بن معاوية الديلي: له صحبة ورواية، شهد الفتح وغزا مع أبي بكر سنة ٩ هـ، نزل المدينة في بني الدليل، مات سنة ٦٠ هـ، في حكم معاوية بعد أن عاش ٦٠ عاماً في الجاهلية، و ٦٠ عاماً في الإسلام. «تاريخ الإسلام»، الذهبي: ٢ / ٧٢٨ ترجمة ١١٧].

(٩٦) الطبري (٣ / ٢٤٢)، (١ / ١٨٧٠)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢ وما بعدها).

(٩٧) الطبري (٣ / ٣٠٣)، (١ / ١٩٦٠).

(٩٨) الطبري (٣ / ٢٥٧)، (١ / ١٨٩٢)، «وقد مات محمّد وطليحة حيّ، فاتبعه وتبعته غطفان»، ابن الأثير (٢ / ٢٣١).

ومما ذكره أيضاً عن «خنعم»^(٩٩)، من أنّ أبا بكر أمر «جرير بن عبد الله»^(١٠٠)، أن يأتي خنعم، فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلصة، ومن أراد إعادته، حتى يقتلهم الله، ويقتل من شاركهم فيه»^(١٠١).

وقد لخص قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهذاني المتوفى سنة «٤١٥ هـ»، ردة العرب بقوله: «وقد كانت ردة العرب بعد وفاته عليه السلام بألوان الردّة: منهم من ادعى النبوة، ومنهم من كانت ردة بتعطيل الشريعة كلّها، ومنهم من كانت ردة بمنع الزكاة على أن يُقيم الصلاة ويُجاهد مع المسلمين، فإن لم يقبل منهم ذلك صاروا مع العدو على المسلمين، وأغاروا على المدينة، وزحفوا حتى شارفوا المدينة، وخافهم المسلمون، فسألوا أبا بكر أن يقبل ذلك منهم مدّة

(٩٩) [خنعم: هو أقيّل بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وخنعم أمه: هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عكّ، وإنما سُمي خنعم خنعمًا بجمّل له يُقال له خنعم، فقيل يُحمل إلى خنعم، ويُقال إنّ أقيّل بن أنمار لما تحالف ولده على سائر إخوتهم نحروا بغيراً ثمّ تخنعموا بدمه، أي تلطّخوا به في لغتهم. «نسب معدّ واليمن الكبير»، الكلبي: ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣].

(١٠٠) [جرير بن عبد الله البجلي: ويكنى أبا عمرو، أسلم سنة وفاة رسول الله (ص)، وجّهه رسول الله إلى صنم ذي الخلصة فهدمه، نزل الكوفة وبنى فيها داراً في بجيلة، توفّي في السّراة. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٦ / ٩٩ ترجمة ١٨٥٢].

(١٠١) الطبري (٣ / ٣٢٢)، (١ / ١٩٨٨).

إلى أن ينكشف ما بالمسلمين، فقليل له ما نراك تنحاش لما قد بلغ من الناس ولما يُتوقع من إغارة العدو. فقال أبو بكر: ما دخلني إشفاقٌ من شرٍّ ولا دخلني في الدين وحشةٌ إلى أحد منذ ليلة الغار^(١٠٢)، فإن رسول الله حين رأى إشفاقِي عليه وعلى الدين قال: هوّن عليك أبا بكر، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتّمام. فقبلوا منه ورجعوا إلى قوله، وقاتلوا العرب كلّها فغلبوهم وقهروهم مع قلة المسلمين وكثرتهم، لتعلم معرفتهم بما أخبرهم به رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، من الظهور وثقتهم بذلك^(١٠٣).

فهذه الأخبار تُحدّد لنا الرّدة ومفهومها الصّحيح عند القائلين بها، وهي إذا طابقتها بالمعنى المعروف من الرّدة، نجد أنّها لا تنطبق مع مفهومها إلا في حالة «خُتَعَمَ» وخروج قوم منها غضباً لذي الخَلَصَة^(١٠٤)^(١٠٥)، فهذه إنّ صحّت الرواية، رِدّة صحيحة، وعودة عن الإسلام إلى الصنم ذي الخَلَصَة، ولكننا نجد رواية أخرى تُعارض هذه الرواية معارضة تامّة، حيث تقول: «وأقامت طيء كلّها على الإسلام وهذيل وأهل

(١٠٢) [يُراد بها ليلة مهاجرة النبيّ (ص) إلى المدينة واختبأ في الغار مع أبي بكر. «شرف المصطفى»، أبو سعد الخركوشي: ٣ / ٣٤٥].

(١٠٣) تثبت دلائل النّبوة (٢ / ٣١٩ وما بعدها).

(١٠٤) [ذو الخَلَصَة: هو بيت لأصنام تتعبّد فيه خُتَعَمُ وبَجِيئُهُ، وكان يُقال له الكعبة اليمانيّة، يُضاهون به الكعبة التي بمكّة، ويقولون للتي ببكّة الكعبة الشّاميّة، ولبيتهم الكعبة اليمانيّة. «السيرة النّبويّة»، ابن كثير: ٤ / ١٥٣].

(١٠٥) الطّبريّ (٣ / ٣٢٢)، (١ / ١٩٨٨).

السّراة وبَجِيئُهُ وخُتَعَمُ ومَن قارب تِهامة^(١٠٦)»^(١٠٧)، فخُتَعَمُ على هذه الرواية قبيلة بقيت على الإسلام وتمسّكت به.

وإلا في حالة «عُيَيْنَة بن حصن»، حسب زعم «سيف بن عمر»، وزعمه هذا إن صحّ، يكون عمله مع قومه بانضمامهم إلى طَلِيحَة^(١٠٨) رِدّة^(١٠٩).

وإلا في حالة زعم «يعقوب بن محمّد الزّهريّ» أنّ قوماً قالوا: «لو كان نبياً ما مات»، و«قول بعضهم انقضت النّبوة بموته فلا نُطيع أحداً بعده»^(١١٠)، فهذه رِدّة وكفر بعد إسلام بالنسبة لأهل القول الأوّل، أمّا بالنسبة لأهل القول الثّاني، فإنّ قولهم هذا لا يختلف عن إجماع المسلمين على أنّ لا نبوة بعد وفاة الرّسول، فهم مثلهم إذن في موضوع انقطاع النّبوة بوفاة محمّد، وخلافهم معهم أنّ الخلافة لا صلة لها بالنّبوة، وليست بشرط من شروط الإسلام، فهم على ذلك لا يرون أنفسهم مُجبرين بحكم الشّرع على مبايعة أبي بكر خليفة عليهم.

(١٠٦) [تِهامة: بالكسر، تُساير البحر، منها مكّة، والحجاز تحجز بين تِهامة والعروض. «معجم البلدان»، ياقوت الحمويّ: ٢ / ٦٣].

(١٠٧) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(١٠٨) [طَلِيحَة الأَسديّ: هو طَلِيحَة بن خُوَيْلِد الأَسديّ الفقعسيّ، كان ممّن شهد مع الأحزاب الخندق، قدِم على رسول الله سنة تسع، مات في نهاوند سنة ٢١هـ، مع النّعمان بن مقرن المُرّنيّ. «الوافي بالوفيات»، الصّفديّ: ١٦ / ٢٨٤ ترجمة ٥٧٧٨].

(١٠٩) الطّبريّ (٣ / ٢٥٧)، (١ / ١٨٩٢).

(١١٠) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠١).

أما بالنسبة إلى الحالات الباقية، فهي كما يظهر من منطقتها: امتناع عن بيعة أبي بكر، وامتناع عن دفع الزكاة، ولا يُعدّ الامتناع عن البيعة ردّة، فقد رأينا أنّ «سعد بن عباد»^(١١١)، امتنع عن بيعة أبي بكر، ومات ولم يُبايع، ولم يُقل أحد من الصحابة وبضمنهم أبو بكر وعمر، أنّه كان قد ارتدّ عن الإسلام، وأنّه مات مرتدّاً، ولم ينتقص أحد من المسلمين سعداً، بسبب امتناعه عن البيعة، وإصراره على الامتناع، وبقي هو هو صحابي جليل، يُذكر بكل خير واحترام إلى أيامنا هذه، وامتنع عن بيعته بعض الصحابة أيّاماً أو أكثر، وهم بيثرب، ولم يُنعتوا بنعوت الردّة، ولم يُحاكموا بحكم الردّة، لأنّ امتناعهم عن بيعته لا يستوجب الحكم عليهم بالردّة.

ولا يُعدّ الامتناع عن دفع الزكاة ردّة كذلك، لا سيما وأنّ من بين الممتنعين عن أدائها من أقرّ بأدائها، لكنّه رأى أن تُفرّق في المستحقين للزكاة من أبناء القبيلة التي أدتها، كما فعل ذلك «مالك بن نويرة» فليس في القضية إذن إنكار ولا استهتار بأصل الزكاة، وإنّما الامتناع هو في وجوب أدائها وحملها للخليفة، وقد أداها قوم منهم فعلاً، لكنّه توقّف في حملها إلى الخليفة، حتّى يرى رأي الناس

(١١١) [سعد بن عباد بن دليح بن حارثة بن بن أبي خزيمه بن طريف بن خزرج بن ساعدة، يُكنّى أبا ثابت، أمّه عمره وهي الثالثة بنت مسعود بن قيس، وكان في الجاهلية يكتب بالعربية، وكان يُحسن العوم والرّمي، وهو زعيم الخزرج من الأنصار، أسلم وحسن إسلامه. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٣ / ٤٦٠ - ٤٦٢ ترجمة [٣٣٢].

فيه، ثمّ إنّ من بينهم من أبى مبايعة الخليفة، وأبى أداء الزكاة إليه، لأنّه لا يعترف بشرعية حكمه عليه، وهذا شيء معقول مقبول، ثمّ إنّ منهم من كان يؤمن بالله، ويشهد أنّ محمداً رسول الله، ويصلي، ولكن لا يُعطي أمواله للخليفة، لأنّ الشرع لا يُوجب دفعها إلى الخليفة وحملها حتماً إليه، والصحيح أنّ قضية الامتناع عن بيعة أبي بكر، والامتناع عن دفع الزكاة هي جوهر هذا الخلاف المُسمّى بالردّة، أما الردّة عن الإسلام، إلى ما كان الناس عليه قبله، فهذا حدث ثانوي^(١١٢).

أما سبب نفور القبائل من مبايعة أبي بكر بالخلافة، فلم يكن لرأي شخصي منها إلى بيته أو إليه، وإنّما كان ذلك بسبب جبلتها التي جُبلت عليها من حبّ العيش بحريّة في داخل مضاربها ومنازلها، وأرضها التي تنزل بها، عيشة مهما رآها الحصريّ قاسية فإنّها في نظر الأعرابيّ محبوبة، ما دام طليقاً لا تُقيده قيود الحصر، فهي تُريد الحريّة بهذا المعنى، ولا تُعطي بيدها لطاعة غريب عنها في عرفها، إلّا مُكرهة مقهورة، تبقى كذلك حتّى إذا شعرت بقوة في نفسها انتفضت لتعود سيرتها الأولى، ولتعيش طليقة في ظلّ سادتها الذين هم منها.

وهذه الجبلّة الأعرابية أضرت بالعرب بالطبع من حيث الوحدة، واصطدمت بمبادئ الإسلام التي تدعو إلى الإخاء في «أمة العرب» وفي «أمة الإسلام»، لأنّ من الصعب على الأعرابيّ أخذ هذا المفهوم، فلمّا توفّي الرسول، رأت القبائل التي أسلمت بإسلام

(١١٢) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠١).

سادتها- وإسلام القبائل هو بإسلام الرّؤساء؛ لأنّ أفرادها تبع بالعصبية للرئيس- أنّ البيعة قد انتهت بموت عاقدتها معهم، وأنّه قد حان لها أن تتخلّص من حكم قريش، ومن حكم المدن عليها، فلا تجديد للبيعة، ولا تسليم بالخلافة، وهكذا أباحت لنفسها العودة إلى حياتها الطليقة إلى حيث تغدو وتروح، فلا صلاة فيها ولا زكاة.

وللسبب المتقدّم وجد «عُيَيْنَةُ بن حصن الفزاري»^(١١٣) في وفاة الرسول فرصة للخروج عن طاعة قريش، واتباع نبي من الحليفين، بقوله: «ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد، وإنّي لمجدّد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومُتابع طليحة، واللّه لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش، وقد مات محمّد وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه، ففعل وفعلوا»^(١١٤)، وهو كلام يُعبّر عن عقلية البدوي ونظرته إلى الحياة أحسن تعبير.

وأما الزكاة التي فرضت ضريبة للمصلحة العامّة لتصرف في أوجهها المعينة المذكورة في كتاب اللّه، فلم يستطع الأعرابي فهمها على هذا الوجه، لقد كانت في نظره إتاوة أو «خاوة» تدفعها القبائل المُستضعفة للقبائل القويّة، وجزيّة تُفرض على القبائل دلالة على استذلالها وخضوعها لمن

(١١٣) [عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن ثعلبة الفزاري، يُكنّى بأبي مالك، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف. «أسد الغابة»، ابن الأثير: ٤ / ٣١٨ / ترجمة ٤١٦٦].

(١١٤) الطبري (٣ / ٢٥٧)، (١ / ١٨٩٢).

فرضها عليها، فهي تأبأها ولا تتقبّلها نفوسهم. وتنفّر منها نفوراً شديداً، وتعتبرها ذلاً وضعةً، كان الأعاجم من الساسانيين والروم ومن تبعهما من المناذرة والغساسنة يأخذونها إكراهاً من العرب، استذلالاً لهم، ودلالة على خضوعهم لهم، فهي إذن عندهم سمة الخضوع والذل والطاعة بحق القوّة.

ولما نزل «عمرو بن العاص» في بلاد بني عامر، ونزل بـ «قُرّة بن هُبيرة»، «وقُرّة يُقدّم رجلاً ويؤخّر أخرى، ومعه عسكر من بني عامر»، قال «قُرّة» لعمرو بن العاص: «يا هذا إنّ العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة»^(١١٥)، فإن أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم»^(١١٦)، وفي قول «خليفة»: «وارتدت العرب ومنعوا الزكاة، فقال أصحاب رسول اللّه، (ﷺ)، لأبي بكر: إقبل منهم، فقال: لو منعوني عقلاً»^(١١٧) ممّا أعطوا رسول اللّه لقاتلتهم»^(١١٨)، تأييد لما كان للزكاة من أهميّة في تفسير معنى هذه الرّدة.

أضف إلى ذلك سوء وضع الأعرابي من الناحية الاقتصادية، وتأثير أداء المال عليه، مهما كان قليلاً، فإنّه كان لضيق حاله يستعظم إخراج شيء

(١١٥) [الإتاوة: هي ضريبة يأخذها الملك ممن هو دونه.

«جمهرة اللّغة»، ابن دُرَيْد: ١ / ٣١٤].

(١١٦) الكامل (٢ / ٢٣٨).

(١١٧) [العقال: هو صدقة سنة، يُقال: أخذ المصدّق النّقد

ولم يأخذ العقال. «جمهرة اللّغة»، ابن دُرَيْد: ٢ / ٩٣٩].

(١١٨) تاريخ خليفة (١ / ٦٥ وما بعدها).

من ماله يُجبر على أدائه، ولو كان زكاةً أمرت الشريعة بها لمنفعته ولمنفعة غيره، وكان وجهُ جباةِ الصدقات من أكره الوجوه في نظر الأعراب، وكانوا يتحايلون عليهم في إخراج الصدقة بالإنقاص من نصابها، وبإخراج الهزيل الضعيف من المشية بدلاً من الصحيح السالم الذي يجب إخراجها، وقد وقعت مشادة عنيفة بين صاحب الصدقة وبين من استحقت الصدقة عليه بسبب مثل هذه الأعمال.

وبعد أن وقفنا على نوع هذه الردة، لا بد لي من التحدث عن القبائل التي زعم أنها مرقت من الإسلام وتسربلت بثوب الردة، فأقول: لقد سرد «الديار بكرى» في تاريخه القبائل التي ارتدت والقبائل التي بقيت على إسلامها، والقبائل التي تردت وتوقفت بين الإسلام والردة، فهي تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، ترى وتنتظر ما سيكون عليه الموقف، فهي مؤقتاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء حتى ترى الموقف، فتجنح إلى من استقر الأمر عليه.

أما القبائل التي جنحت إلى الخروج عن الإسلام، فقد ذكرها «الديار بكرى» على هذا النحو: «كانت أسد وغطفان من أهل الضاحية قد ارتدت»، «وارتدت عامّة بني تميم وطوائف من بني سليم»^(١١٩)، وعصية وعميرة وخفاف وبنو عوف بن امرئ القيس وذكوان وبنو حارثة، وارتدت أهل اليمامة^(١٢٠) كلهم، وأهل البحرين وبكر بن

(١١٩) «وارتدت خواص من بني سليم»، الطبري (٣/ ٢٤٢)، (١/ ١٨٧١).
(١٢٠) [تقع في الإقليم الثاني، فتحها خالد بن الوليد عنوةً، بينها وبين البحرين عشرة أيام، وكانت فيها منازل طسم وجديس. «معجم الأدباء»، ياقوت الحموي: ٥/ ٤٤٢].

وائل^(١٢١) وأهل دباء من أزد عمان والنمر بن قاسط وكليب ومن قاربهم من قضاة وعمامة بني عامر بن صعصعة وفيهم علقمة بن علاثة، وقيل: إنها تربصت مع قادتها وساداتها ينظرون لمن تكون الدبرة، وقدموا رجلاً وأخروا أخرى. وارتدت فزارة وجمعها عيينة بن حصن، «وارتدت كندة وحضر موت وعنس»^(١٢٢).

وأدخل «سيف بن عمر» عوام طيء في جملة من ارتدت واجتمع على طليحة^(١٢٣).

وارتدت وديعة الكلب فيمن آزره من سعد هذيم، وكان رسول الله قد عين امرؤ القيس بن الأصبع الكلبى من بني عبد الله، على قضاة وعلى كلب، وعين عمرو بن الحكم^(١٢٤) على القين، ومعاوية على سعد هذيم، فلما مات رسول الله بقي امرؤ القيس على دينه، وارتدت معاوية، وبقي عمرو بن الحكم على دينه^(١٢٥).

وارتدت «حامية بن سبيع بن الخشخاش الأسدي» وكان رسول الله استعمله على صدقات قومه

(١٢١) [قبيلة كبيرة من العدنانية، تُنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هيث بن أفضى. «جمهرة أنساب العرب»، ابن حزم: ١/ ٣٠٢ - ٣١٩].

(١٢٢) تاريخ الخميس (٢/ ٢٠٢).

(١٢٣) الطبري (٣/ ٢٤٢)، (١/ ١٨٧١).

(١٢٤) [هو عمرو بن الحكم القضاعي، بعثه رسول الله (ص) عاملاً على بني القين، فلما ارتدت بعض عمال قضاة كان عمرو بن الحكم وامرؤ القيس والأصبع ممن ثبت على دينه. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، ابن عبد البر القرطبي: ٣/ ١١٧٣].

(١٢٥) الطبري (٣/ ٢٤٣)، (١/ ١٨٧٢).

فارتدَّ عن الإسلام، فألقى به «خالدُ بن الوليد» في الحظائر مع مَنْ ألقى مَنَّ قبض عليهم مُرتدًّا، فاحترق (١٢٦).

وذكر أن مَنَّ ارتدَّ «عَلْقَمَةَ بنَ عَلَاتَةَ بنَ عوفٍ» العامري (١٢٧)، فلما ارتدَّ بعثَ أبو بكر إلى امرأته وولده، فقالت المرأة إن كان عَلْقَمَةَ كَفَرَ فإني لم أكفرُ أنا ولا ولدي، وزعم أنه لما ارتدَّ لحق بالشَّام، ثم أقبلَ حتَّى عسكَرَ في بني كعب، فبعث إليه أبو بكر القعقاع بن عمرو (١٢٨) ففرَّ منه، ثم أسلم وأقبل إلى أبي بكر. «وقال ابنُ قتيبة: كان ارتدَّ بعد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، ولحق بقيصرَ ثم انصرف عنه وعاد إلى الإسلام، واستعمله عمرُ على حوران (١٢٩)، وقال أبو عبيدة: شرب عَلْقَمَةُ الخمرَ فحده عمرُ فارتدَّ ولحق بالروم، فأكرمه ملكُ الروم»، ثم رجع وأسلم (١٣٠).

(١٢٦) الإصابة (١ / ٣٠١)، (رقم ١٥٤٤)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٧).

(١٢٧) [عَلْقَمَةُ بنُ عَلَاتَةَ بنَ عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكندي العامري، من المؤلِّفة قلوبهم، وكان سيِّدًا في قومه حليماً عاقلاً ولم يكن عنده كرم. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، ابن عبد البرِّ القرطبي: ٣ / ١٠٨٨ ترجمة ١٨٤٨].

(١٢٨) [هو أخو عاصم بن عمرو التميمي، كان لهما البلاء الجميل والمقامات المحمودة في القادسية، لهما ولهاشم بن عتبة، وعمرو بن معد يكرب. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، ابن عبد البرِّ القرطبي: ٣ / ١٢٨٣. ترجمة ٢١٢١].

(١٢٩) [من أعمال دمشق. «معجم الأدباء»، ياقوت الحموي: ١ / ٣٣٩].

(١٣٠) الإصابة (٢ / ٤٩٦ وما بعدها)، (رقم ٥٦٧٧).

وأما القبائل التي تمسكت بالإسلام ولم تتأثر بأهل الرِّدة، فهي «عبس» و «بعض أشجع»، و «ما بين المسجدين»: مَكَّة والمدينة، «أسلم وغفار وجُهينة، ومُزينة وكعب وثقيف» و «طيء كلها» و «هُذَيْل» و «أهل السَّراة» و «بجيلة وخثعم ومن قارب تهامة من هوازن نصر وجشم وسعد بن بكر وعبد القيس، قام فيهم الجارود (١٣١) فثبتوا على الإسلام». «وقال أبو هريرة: لم يرجع واحد من دوس ولا من أهل السَّراة كلها. وقال أبو مرزوق التُّجيبِي (١٣٢): لم يرجع رجلٌ واحدٌ منا من تُجيب وهمدان، ولا من الأبناء (١٣٣) بصنعاء» (١٣٤).

وذكر «سيف بنُ عمر» أن غطفان كانت قد ارتدت «إلا ما كان من أشجع وخواص من الأفاء فبايعوه» (١٣٥)، أي أبا بكر، وذكر أن «عوام

(١٣١) [الجارود: اسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلِّ، وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية، وإنما سُمِّي الجارود لأن بلاد عبد القيس أسافت حتَّى بقيت للجارود بقيَّة، فغادر إلى أخواله من بني هند من بني شيبان، فأقام بينهم وإبله جرباء فأعدت إبلهم فهلكت، فقال النَّاس جرِّدهم بشر. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٦ / ٨١ ترجمة ١٧٩٩].

(١٣٢) [أبو مرزوق التُّجيبِي: مصري تابعي ثقة. «الثقات»، العجلي: ٢ / ٤٢٤ ترجمة ٢٢٤٦].

(١٣٣) [الأبناء: هم أبناء الفرس في اليمن، منهم من قديم على رسول الله (ص) فأسلموا وحسن إسلامهم. يُنظر: «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٦ / ٢٩ ترجمة ١٥٧٤، ٦ / ٣٣ ترجمة ١٥٩٣، ٦ / ٣٧ ترجمة ١٦٢٠، ٦ / ٦٢ ترجمة ١٧٤١، وغيرها].

(١٣٤) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(١٣٥) الطُّبري (٣ / ٢٤٢)، (١ / ١٨٧١).

جديلة والأعجان» اقتدوا بـ «ثقيف ولقها»، فأدوا الصّدقة لأبي بكر (١٣٦).

وأما القبائل التي تربّصت تنتظر ما سيصير إليه أمر أبي بكر، فذكر «الدياربكري» أنّ قومًا من أهل الأخبار رأوا أنّ «بني عامر بن صعصعة» تربّصت مع قادتها وسادتها ينظرون لمن تكون الدّبرّة، وقدموا رجلًا وأخروا أخرى (١٣٧)، وروى «سيف بن عمر» أنّ «هوازن» قدّمت «رجلًا وأخرت رجلًا، أمسكت الصّدقة إلا ما كان من ثقيف ولقها» (١٣٨). وذكر «الدياربكري» أنّ الذين حبسوا صدقات قومهم وفرّقوها بين قومهم، كانوا: «مالك بن نويرة، وقيس بن عاصم» (١٣٩)، والأقرع بن حابس التميمي، وأما بنو كلاب فتربّصوا ولم يمنعوا منعًا بينًا ولم يعطوا، كانوا بين ذلك، وكان بعث رسول الله (ﷺ)، على فزارة نوفل بن معاوية الديلي، فلقية خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بالشريعة، فقال: أما ترضى أن تغنم نفسك! فرجع نوفل بن معاوية هاربًا حتّى قدّم على أبي بكر الصّديق بسوطه، وقد كان جمع فرائض فأخذها منه خارجة فردّها

(١٣٦) الطّبري (٣ / ٢٤٢)، (١ / ١٨٧١).

(١٣٧) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(١٣٨) الطّبري (٣ / ٢٤٢)، (١ / ١٨٧١).

(١٣٩) [قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن تميم، وكان حرم الخمر بالجاهلية، ثمّ وفد على رسول الله، في وفد بني تميم، وقال فيه رسول الله (ﷺ) هذا سيّد أهل الوبر. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٧ / ٢٦ ترجمة ٢٨٥٩].

على أربابها (١٤٠). وكذلك فعلت سليم بعزباض بن سارية (١٤١)، وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، بعثه على صدقاتهم فلما بلغتهم وفاة النبي، صلى الله عليه وسلّم، أبوا أن يعطوه شيئًا، وأخذوا منه ما كان جمع، فانصرف من عندهم بسوطه. وأما أسلم وغفار ومزينة وجهيّة، كان رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، بعث إليهم كعب بن مالك الأنصاري، فسلموا إليه صدقاتهم لما بلغتهم وفاته، وتأذت إلى أبي بكر فاستعان بها على قتال أهل الرّدة، وكذلك فعل بنو كعب مع أمير صدقاتهم بشر بن سفيان الكعبي، وأرجع مع مسعود بن رخيّة الأشجعيّ فقدم بذلك كلّه على أبي بكر، وكان عدي بن حاتم قد حبس إبل الصّدقة يريد أن يبعث بها إلى أبي بكر إذا وجد فرصة، والزّبيرقان بن بدر (١٤٢) مثل ذلك، فجعل

(١٤٠) «وكان نوفل بن معاوية الديلي بعثه رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، فلقية خارجة بن حصن بالشريعة، فأخذ ما في يديه، فردّه على بني فزارة، فرجع نوفل إلى أبي بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبي بكر»، الطّبري (٣ / ٢٤١ وما بعدها)، (١ / ١٨٧٠).

(١٤١) [عزباض بن سارية السلمي، يكتى أبا نجيح، سكن الشام، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، توفّي سنة ٧٥هـ، وقيل في فتنة ابن الزّبير. «أسد الغابة»، ابن الأثير: ٤ / ١٩، ترجمة ٣٦٩٠].

(١٤٢) [الزّبيرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن عوف بن كعب بن سعد بن عبد مناف بن تميم، اسمه حُصين، وكان شاعرًا، يُقال له قمر نجد، وكان في وفد بني تميم على رسول الله، استعمله رسول الله على صدقات قومه بني سعد، وبعد وفاة رسول الله (ﷺ) ثبت الزّبيرقان على إسلامه. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٧ / ٢٦ ترجمة ٢٨٦٠].

قومُهما يكلمونهما فيأبيان، وكانا أحزم رأياً وأفضل في الإسلام رغبةً ممن كان فرَّق الصدقة في قومه، فقالا لقومهما: لا تعجلوا فإنه إن قام بهذا الأمر قائم أفاكم لم تُفرِّقوا الصدقة، وإن كان الذي تظنون فلعمري إن أموالكم لبايديكم فلا يغلبنكم عليها أحد، فسكنوهم حتى أتاهم خبر القوم، فلما اجتمع الناس على أبي بكر، قدم عدي بصدقات قومه على أبي بكر، وكانت أول صدقة قدم بها على أبي بكر^(١٤٣)، وقدم أيضاً الزبيرقان بن بدر بصدقات قومه على أبي بكر^(١٤٤)، وكان رسول الله قد ولاه في سنة تسع صدقات قومه فأقره أبو بكر^(١٤٥).

وقد ذكر ابن منظور أنه «لم يرتد أحد من الصحابة بعده، إنما ارتد قوم من جفاة الأعراب»^(١٤٦)، فالردة إنما كانت في جفاة الأعراب، وجفاة الأعراب كانوا قبل الإسلام وفي أيام الرسول وما بعدها مُرتدون دوماً، بمعنى أنهم كانوا مع القوي ما دام قوياً، فإذا لمسوا ضعفاً فيه، التمسوا الأعذار للإنقلاب عليه، وإذا رأوا الغنيمه في القتال انقضوا عليها تاركين مواضعهم، معرضين الجيش الذي يحاربون معه إلى الخطر، ولهذا كانت الحكومات تحسب حساباً لهم إذا استعانوا بهم في القتال، ومن هنا نجد القرآن الكريم يندد

بهم ويذمهم، لخلقهم هذا، ولعدم إخلاصهم لمن يعتمد عليهم، والظاهر أن «ابن منظور» إنما أراد من الصحابة صحابته من المهاجرين والأنصار، من أهل الحصر، فهؤلاء حافظوا على إيمانهم ولم يخرجوا من الإسلام.

وبعد أن استعرضت أسماء القبائل المرتدة، وأسماء القبائل التي ذكر أنها تمسكت بإسلامها، وأسماء القبائل التي توقفت بين الردة وبين التمسك بالإسلام، وأسماء بعض سادة القبائل الذين ارتدوا في شمال الحجاز، أرى أن لا بد لي من الكلام عن بعض هذه الأسماء؛ لما ورد عنها من تناقض في الروايات، وأبدأ بمكة، فقد قلت قبل قليل، أنها كانت حسب رواية «ابن هشام» عن «أبي عبيدة» قد همت بالردة، حثها على ذلك «أبو سفيان»، وكادت أن ترجع عن الإسلام، حتى توارى عنها عاملها «عتاب بن أسيد» الذي كان قد ثبته عليها نبي الله، لولا وقوف «سهيل بن عمرو» وإفحامه أبا سفيان، فتراجع الناس عن مقاتلتهم، وكفوا عما هموا، فظهر عتاب بن أسيد^(١٤٧)، بينما نقرأ في روايات أخرى أنها لم ترتد، «فلما فصل أسامة كفرت الأرض وتضمرت وارتدت من كل قبيلة عامّة وخاصّة، إلا قريشاً وثقيفاً»^(١٤٨)، وتذكر رواية أخرى مثل هذه الرواية، فيها: «ارتد عامّة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من

(١٤٣) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢ وما بعدها).

(١٤٤) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٤).

(١٤٥) الإصابة (١ / ٥٢٤ وما بعدها)، (رقم ٢٧٨٢)،

الاستيعاب (١ / ٥٦٦ وما بعدها).

(١٤٦) اللسان (٣ / ١٧٣)، (ردد).

(١٤٧) ابن هشام (٢ / ٣٧٧)، الاستيعاب (٢ / ١٠٩)،

الإصابة (٢ / ٩٢)، (رقم ٣٢٧٣)، تاريخ الخميس (٢ / ٢٠١).

(١٤٨) الطبري (٣ / ٢٤٢)، (١ / ١٨٧١)، ابن الأثير (٢ / ٢٣١).

عبد القيس»^(١٤٩).

نردُّ الملِّك في آلِ المُنذر، فملَّكوا المُنذرَ بنَ النُّعمان بن المُنذر»^(١٥٦)، فيُفهم من هذه الروايات أنَّ أهل البحرين لم يرتدّوا كلُّهم وإنَّما ارتدّ منهم بكر وربيعه، وثبت بنو عبد القيس على الإسلام بفضل الجارود.

ولا يُفهم من الرِّدّة التي نسَبها أهلُ الأخبار لربيعه، أنّها رِدّة دينٍ بالضرورة، إذ يجوز أنّهم إنّما أرادوا مُبايعة «المُنذر» ملكاً عليهم، وهو من أبناء النُّعمان بن المُنذر ملك الحيرة، بدلَ مُبايعة أبي بكر، فعُدّ هذا الإعراض عن مُبايعة الخليفة رِدّةً.

وأما «عبسُ»، فقد أوردتُ قبل قليلٍ ما جاء في «تاريخ الخميس»، من قوله: «وكانت أسدٌ وغطفانٌ من أهل الضّاحية قد ارتدّت، ولم ترتدّ عبسٌ ولا بعضُ أشجعٍ»^(١٥٧)، وذكر «الطُّبري» في رواية له عن «سيف بن عمر» أنّ «أشجع» كانت من القبائل التي بايعت أبا بكر^(١٥٨)، وذكر في موضعٍ آخر: «وكان أولُ من صادمَ عبسٍ وذُبيان، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة»^(١٥٩)، وقد كان بنو عبسٍ وبنو ذُبيان قد تجمّعوا بالرِّبذة، فانهمزوا^(١٦٠)، وكانوا فيمن آزرُوا طليحةً.

فما جاء إذن عن ثبات عبسٍ على الإسلام يُخالفه ما دَوّنته عن مقاومتهم لأبي بكرٍ وإلحاق الهزيمة

وذكرتُ قبل قليلٍ أيضاً أنّ «ثقيف» همّت بالرِّدّة، لولا تثبيطُ عثمان بن أبي العاص الثَّقفي^(١٥٠) لهم، وكان عاملَ رسول الله عليهم، وقيل: «ورجلٌ آخرٌ من الأَحلاف» أيضاً، فتركوا ما أرادوا الإقدام عليه^(١٥١)، بينما نجد في روايات أخرى أنّ ثقيفاً لم ترتدّ، وأنَّ «الأرض قد كفرت وتضرّمت وارتدّت من كلّ قبيلةٍ عامّةٍ وخاصّةٍ إلا قريشاً وثقيفاً»^(١٥٢).

وقرأنا في رواية سابقة أنّ «أهل البحرين» كانوا في جملة من ارتدّ^(١٥٣)، بينما نقرأ في رواية أخرى ما نصّه: «لما قبضَ رسولُ الله، (ﷺ)، وانتشر خبرُ وفاته، ارتدّ عامّةُ العرب، إلا أهلُ مكّة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الرِّكاة»^(١٥٤)، ونقرأ في رواية أخرى ما نصّه: «وارتدّ بعده أهلُ البحرين، فأما عبدُ القيس ففأدت، وأما بكرٌ فتّمّت على رِدّتها، وكان الذي ثنى عبدُ القيس الجارودُ حتّى فاؤا»^(١٥٥)، ونقرأ في رواية أخرى: «واجتمعت ربيعةُ بالبحرين وارتدّت، فقالوا:

(١٤٩) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠١).

(١٥٠) [عثمان بن أبي العاص الثَّقفي: هو بشر بن عبد دهمان، وكان في وفدها عند قدومها إلى الرّسول (ص)، وكان أصغرهم، أمره رسولُ الله على ثقيف. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٧ / ٢٨. ترجمة ٢٨٦٦].

(١٥١) الإصابة (٢ / ٤٥٣)، (رقم ٥٤٤٣).

(١٥٢) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢)، الطُّبري (٣ / ٢٤٢)، (١ / ١٨٧١).

(١٥٣) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(١٥٤) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠١).

(١٥٥) الطُّبري (٣ / ٣٠١)، (١ / ١٩٥٨).

(١٥٦) الطُّبري (٣ / ٣٠٣)، (١ / ١٩٦٠).

(١٥٧) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٢).

(١٥٨) الطُّبري (٣ / ٢٤٢)، (١ / ١٨٧١).

(١٥٩) الطُّبري (٣ / ٢٤٣)، (١ / ١٨٧١).

(١٦٠) الطُّبري (٣ / ٢٤٨)، (١ / ١٨٧٩).

بهم، وانضمامهم إلى طُليحَةَ بعد هزيمتهم. إذن فقد كانت عبسُ على أبي بكر ولم تكن إليه. ولم تكن رِدَّةُ «أسد» وركونها إلى طُليحَةَ في عهد «أبي بكر»، إنما كانت رِدَّتْها في حياة رسول الله، وكان طُليحَةُ رجلاً من بني أسد، ومن المعروفين بالشجاعة، قَدِمَ مع وفد قومه في السَّنة التَّاسعة من الهجرة على النَّبِيِّ، ولما رجعوا إلى قومهم ادَّعى النَّبِيُّ، فأرسلَ رسولَ الله ضرارَ بنَ الأزورَ^(١٦١) إلى قتاله، وتُوِّفِّي رسولَ الله، وهو على رِدَّتِهِ وادِّعائه النَّبِيَّةَ، وقويت شوكتُه بعد وفاة النَّبِيِّ بانضمام «عُبَيْنَةَ بنِ حصنِ الفزاريِّ» إليه^(١٦٢)، إذن فإدخال رِدَّةِ طُليحَةَ وبني أسد في مُرتدَّة عهد أبي بكر هو من باب تقرير الحال. وحكاية ما كان عليه الوضع حين وليَ أبو بكر ولايةَ المسلمين، وليس على أنَّها رِدَّةٌ وقعت في خلافة أبي بكر.

(١٦١) [ضرار بن الأزور: اسم الأزور مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة، أسلم في عهد النَّبِيِّ وروى عنه، وشهد يوم اليمامة وقُطعت ساقاه كلاهما، وصار يحبوا على رُكبتيه ويُقاتل حتى قُتل في المعركة. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ١١٢ / ٦ ترجمة ١٨٩٦].

(١٦٢) «فطارت الأخبارُ بتحلل السَّيرِ بالنَّبِيِّ (ﷺ)، أن النَّبِيَّ قد اشتكى، فوثب الأسودُ باليمن ومُسَيْلَمَةُ باليمامة، وجاء الخبرُ عنهما للنَّبِيِّ (ﷺ)، ثم وثب طُليحَةُ في بلاد أسد بعد ما أفاق النَّبِيُّ (ﷺ)، ثم اشتكى في المحرمِ وجعه الذي قبضه اللهُ تعالى فيه»، الطَّبْرِيِّ (٣ / ١٨٤ وما بعدها)، (١ / ١٧٩٥)، «فأرسل رسولَ الله (ﷺ)، ضرارَ بنَ الأزورِ إلى قتاله»، تاريخ الخميس (٢ / ١٦٠)، «وبعث رسولُ الله (ﷺ)، ضرارَ بنَ الأزورِ إلى قتاله مع جماعة، فاجتمع عليهم المسلمون»، ابن خلدون (٢ / ٨٦٩).

وكان وفدُ أسد قد قَدِمَ في أوَّلِ السَّنة التَّاسعة، وكان عشرة رَهْطٍ من بني أسد، فيهم «طُليحَةُ بن خُوَيْلِدٍ» الذي صَغُرَ المسلمون اسمَه، لإدعائه النَّبِيَّةَ، وقد منَّ «حَضْرَمِيُّ بن عامر^(١٦٣)» أحدُ الرَّهْطِ على النَّبِيِّ بقوله: «أتيناك نتدرِّع الليلَ البهيم، في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بَعَثًا. فنزلتُ فيهم: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا)^(١٦٤)، وأسلموا، ولما رجعوا إلى قومهم ارتدَّ طُليحَةُ وادَّعى النَّبِيَّةَ»، ولكننا لا نملك دليلًا يثبت أنه كان قد بايع رسولَ الله فيمَن بايع، وجملة «بعد أن أسلموا» قد تعني جميعهم وقد تعني غالبيتهم، وفي هذه الحالة لا تنطبق الرِدَّةُ عليه، لأنَّ إسلامه لم يثبت، ولا رِدَّةٌ إلَّا بعد إسلام.

على كلِّ، فسواء كان إسلامُ طُليحَةَ واقِعًا، أو لم يكن، فإنَّ رِدَّتَهُ كانت في حياة الرَّسول، لا في خلافة أبي بكر.

ولم تكن أسدُ كُلُّها مع «طُليحَةَ»، فقد كان فيها من بَقِيَ على الإسلام، ومِصْدَاقُ هذا، قولُ «أبي بكر» لخالد بن الوليد: «فإذا لقيت أسدًا وغطفانَ، فبعضهم لك، وبعضهم عليك، وبعضهم لا عليك ولا لك، متربِّصٌ دائرة السَّوءِ، ينظر لِمَن

(١٦٣) [حَضْرَمِيُّ بن عامر بن مُجَمِّع بن مَوْلَه بن هَمَّام بن دُودان بن أسد بن خزيمَةَ، وهم من بني الرُّزَيْنَةَ الذين أطلق عليهم الرَّسولُ (ﷺ) اسم بني رَشِيدَةَ، وأسلموا وبايعوا للنَّبِيِّ. «أسدُ الغابة»، ابن الأثير: ٢ / ٤٠ ترجمة ١٢٠٠].

(١٦٤) ابن سعد (١ / ٢٩٢).

تكون الدَّبْرَةُ فيميل مع مَنْ تكون له الغَلْبَةُ»^(١٦٥)، ثمَّ إنَّ «ضرار بن الأزور» ومَنْ ذهب معه لقتال «طُليحَةَ» بأمر رسول الله، كانوا أنفسهم من بني أسد، أي من قوم طُليحَةَ^(١٦٦).

وقد كان هؤلاء من أكبر العون في نجاح حملة خالد بن الوليد على «طُليحَةَ»، إذ تعاونوا سرًّا مع مَنْ كان مع خالد من بني أسد، وتراسلوا فيما بينهم في كيفية الانتفاض على طُليحَةَ، وأرسل مَنْ كان مع أبي بكر من بني أسد شعراً إلى بني أسد، في حثِّهم على الخروج على طُليحَةَ، ومؤازرة جيش خالد الرَّاحف عليهم، فلما قدِم خالد كانوا في عونه على طُليحَةَ وأتباعه.

ويقال مثل هذا عن رِدَّةِ مُسَيْلَمَةَ والأسود العَنَسِيِّ، أمَّا «الأسود العَنَسِيُّ»، فقد ادَّعى النبوة في حياة النَّبِيِّ، وقُتِلَ ورسول الله حيَّ بعدُ كما تروي بعضُ الروايات، فتكون رِدَّتُهُ، إن جاز إطلاق تعبير الرِدَّةِ عليه قبل خلافة أبي بكر، وليس لدينا دليل يُفيد كونه كان قد دخل في الإسلام، وقد سيطر المسلمون على الوضع في اليمن حين ولي أبو بكر الخلافة. وجاءت البُشْرَى بمقتله في أوَّل أيام خلافة أبي بكر، وأسامةُ بعد لم يُعد إلى يثرب.

ثمَّ إنَّ رِدَّتَهُ لم تكن رِدَّةَ دينٍ خالصَّةً، وإنَّما كانت حركةً سياسيَّةً مُوجَّهَةً ضدَّ الحكم الفارسي الذي حلَّ باليمن عقبَ طرد الحَبَشِ عن البلاد، ولهذا نراه يُوجِّهُ اليمنيين ضدَّ الفُرس، ويثيرهم على هؤلاء الذين دخلوا اليمن وهم غرباء منها، فأخذوا

(١٦٥) تاريخ الخميس (٢ / ٢٠٥).

(١٦٦) ابن خلدون (١ / ٦٦٣).

يأكلون أموالها، ويبترزون ثرواتها، ويأكلون قُوَّت شعبتها، وأخذ يدعو إلى طردهم من اليمن ويُكاتب سادات اليمن للتكتل في إخراجهم من البلاد.

ولما كان هؤلاء الفُرس قد دخلوا في الإسلام، واختار رسول الله منهم باذام وابنه عملاً له، وقد عملوا على نشر الإسلام في اليمن، وأنَّ رسول الله قد أرسل الدُّعَاةَ إلى اليمن لتعليم النَّاس دين الله، وهو^(١٦٧) رجل يدعو إلى العصبيَّة اليمنِيَّة، صار ضدَّ المسلمين، ورأى أنَّ الإسلام معناه ابتزاز اليمن واستيلاء عليه، فكتب لهم: «أيها المتورِّدون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفِّروا ما جمعتم، فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه»^(١٦٨). فدعوته إذن لم تكن دعوة رِدَّةٍ، لأنَّه لم يكن قد دخل أصلاً في الإسلام حتَّى يُحكَم برِدَّتِهِ، وإنَّما كانت دعوةً سياسيَّةً تدعو إلى طرد الأجنبي والغريب من اليمن، وقيام أهل اليمن بإعادة ما كان لهم من حكومة إلى هذا الوطن.

كذلك لم تكن رِدَّة «قيس بن عبد يغوث المكشوح»^(١٦٩) رِدَّةً دينيَّةً، بل كانت حركةً سياسيَّةً، على منوال حركة «الأسود العَنَسِيِّ»، فلما كتب أبو بكر إلى «عمير بن أفلح ذي مران»^(١٧٠)،

(١٦٧) [الضمير يعود على الأسود العَنَسِيِّ].

(١٦٨) الطَّبْرِي (٣ / ٢٢٩).

(١٦٩) [قيس بن عبد يغوث المكشوح: وهو ممَّن اشترك في قتل الأسود العَنَسِيِّ، وهو اشتهر في كتب التَّراجم باسم قيس بن المكشوح. «أسدُ الغابة»، ابن الأثير: ٤ / ٤١٦ ترجمة ٤٣٧٩، ٦ / ٥٨ ترجمة ١٧١٨].

(١٧٠) [عمير بن أفلح ذي مران: هو عمر ذو مران القليل بن أفلح بن شراحيل بن ربيعة، وهو ناعط بن مرثد الهمداني، كتب إليه رسول الله (ص) كتاباً يدعو وهمدان إلى الإسلام. «أسدُ الغابة»، ابن الأثير: ٤ / ٢٥٨ ترجمة ٤٠٨٨].

وإلى «سعيد بن العاقب ذي زود» وإلى «سميفع بن ناكور ذي الكلاع^(١٧١)» وإلى «حوشب ذي ظليم^(١٧٢)»، وإلى «شهر ذي يناف»، كتابًا يقول فيه: «فأعينوا الأبناء على من ناوأهم وحوطوهم واسمعوا من فيروز، وجدوا معه، فإنني قد وليته»، انزعج من ذلك قيس، فكتب إلى ذي الكلاع وأصحابه: «إن الأبناء نزاع في بلادكم، وثقلاء فيكم، وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم، وقد أرى من الرأي أن أقتل رؤوسهم، وأخرجهم من بلادنا^(١٧٣)»، وراسل «الفالة السيار اللحية»، وغيرهم، وثار على الفرس وقت «دانويه^(١٧٤)»^(١٧٥).

(١٧١) [سميفع بن ناكور ذي الكلاع بن عمرو بن يعفر بن يزيد، وهو ذو الكلاع الأكبر بن النعمان، كتب له النبي مع جرير بن عبد الله فاعتنق الإسلام مع أربعة آلاف من قومه بيوم واحد، قتل يوم صيفين سنة ٣٧هـ مع معاوية. «الإكمال»، ابن ماكولا: ٧ / ٣٣٤ - ٣٣٥].

(١٧٢) [حوشب بن ظليم بن طخية الحميري، ويُقال له ذي ظليم، أسلم في عهد رسول الله، وقدم إليه، وكان النبي (ص) كتب له كتابًا مع جرير بن عبد الله البجلي للتعاون مع ذي الكلاع الحميري، وشارك بصيفين إلى جانب معاوية. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، ابن عبد البر القرطبي: ١ / ٤١٠ ترجمة ٥٨١].

(١٧٣) [الطبري (٣ / ٣٢٣)، (١ / ١٩٨٩ وما بعدها).

(١٧٤) [دانويه: وهو من الأبناء الفرس في اليمن، وكان شيخًا كبيرًا أسلم على عهد رسول الله، وكان فيمن قتل الأسود العنسي في اليمن، فخاف قيس بن مكشوح من قبيلة عنس، وقال لهم إن دانويه قتله، ليرضي بني عنس، وهم أبو بكر أن يقتله لولا فسمه أنه لم يفعل. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد: ٦ / ٦٤ ترجمة ١٧٤٣].

(١٧٥) [الطبري (٣ / ٣٢٤)، (١ / ١٩٩٠ وما بعدها).

وتعقبهم في كل مكان، ليحرر اليمن منهم، ومن هنا عصى أوامر أبي بكر، لأنها كانت في رأيهم في صالح الفرس، ولم يدعوا^(١٧٦) إلى عبادة آلهة اليمن القديمة، حتى نجعل فعلهم ردة عن الإسلام.

وأما «مسيمة»، فقد كانت ردة في حياة النبي كذلك، وهو من بني حنيفة باليمامة، واسمه «هارون بن حبيب» كما تقول رواية، ولقبه «مسيمة»، وكُنيتُه «أبو ثمامة^(١٧٧)»، وقد كان في ضمن من قدم من «بني حنيفة» على النبي، وكان له حديث مع رسول الله، ويصعب من خلال دراستنا لما ورد عن قدومه مع وفد قومه إثبات إسلامه، ولهذا فلا يصلح نعتُه بالمرتد، ولا يصح أن يُقال عنه أنه ارتد؛ لأنه لم يكن مسلمًا حتى نقول: ارتد عن الإسلام، وعلى كل، فقد كانت دعواه بالنبوة قبل خلافة أبي بكر، وكان أتباع بنو حنيفة له، قبل هذه الخلافة أيضًا^(١٧٨)، وليس في خلافة أبي بكر.

وقد ذكر «الجاحظ» أن «مسيمة كان قبل ادعاء النبوة يدور في الأسواق التي بين دور العرب والعجم، كسوق الأبله وسوق لقة وسوق الأنبار وسوق الحيرة^(١٧٩)»، يلتبس تعلم الحيل

(١٧٦) [في الأصل. «يدعو»].

(١٧٧) تاريخ الخميس (٢ / ١٥٧)، «ومسيمة الكذاب واسمه ثمامة بن حبيب»، مختصر التاريخ، لابن الكازروني (ص ٦٢).

(١٧٨) تاريخ الخميس (٢ / ١٥٧ وما بعدها).

(١٧٩) [للتعرف على هذه الأسواق، يُنظر: «المفصل في

تاريخ العرب قبل الإسلام»، جواد علي: ١١ / ٨٢].

والنَّيرِنِجَاتِ^(١٨٠) واحتيالات أصحاب الرُّقى والنَّجوم^(١٨١)، فتعلَّم من ثَمَّ الحَيْلَ وعَمَلَ الخُدَعِ أخرجها لقومه، وهم قومُ أعرابٍ، فأمنَ به جماعةٌ من قومه.

ولهذا أرى أنَّ إدخال أهل اليمامة كلَّهم في جُملةٍ مَنْ ارتدَّ في خلافة أبي بكر، هو إدخال غير صحيح، ثمَّ إنَّ قومًا من بني حنيفة بقوا على دينهم، ومنهم مَنْ قاومَ مُسَيِّمَةَ في السَّرِّ، فكان يُعين المسلمين، ومنهم مَنْ عارضه علنًا، وكان مع المسلمين ضده. وقد عُرف وفدٌ حنيفةً بجدله وشِدَّةِ مُسَائِلَتِهِ لرسول الله، فعن «رافع بن خديج^(١٨٢) قال: قَدِمْتُ على النَّبِيِّ (ﷺ)، وفودُ العرب، فلم يقدم علينا وفدٌ أقسى قلوبًا ولا أحرى أن يكون الإسلام لم يقرَّ في قلوبهم من بني حنيفة^(١٨٣)، وقد اشترط «مُسيِّمَةُ» على الرِّسول شروطًا لدخول الإسلام، رفضها رسول الله.

وقد طُبعت نبوة الأسود ومُسيِّمَةَ وطُليحَةَ وسَجَاحِ بطابعٍ لا نجد فيه سمَةً من سمات الوثنيَّة، أي السِّمَةِ المُتَّصِلَةِ بالتَّقَرُّبِ إلى الأصنام، فلم يُنسب

(١٨٠) [نيرنج: كلمة فارسيَّة تعني السحر، تُجمع على نيرنجات. يُنظر: «تكملة المعاجم العربيَّة»، رينهارت دوزي: ١٠ / ٢٤٤].

(١٨١) تاريخ الخميس (٢ / ١٥٩).

(١٨٢) [رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن جُشم الأنصاري النَّجَاري الخزرجي، كُنيتُه: أبو عبد الله، وقيل: أبو خديج، اشترك في بدر وأصيب بأحد، مات سنة ٧٤هـ. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، ابن عبد البرِّ القُرطبي: ٢ / ٤٧٩ - ٤٨٠ ترجمة ٧٢٧].

(١٨٣) تاريخ الخميس (٢ / ١٥٧).

لأحدٍ منهم ذِكْرٌ لصنمٍ من الأصنام التي حاربها الإسلام، ولما كان ما ذكره المؤرِّخون عن الدَّعوة التي دعا إليها هؤلاء المُتَنبِّئِينَ، شيءٌ ضئيلٌ لا يكاد يُفيد علمًا، ثمَّ هو لا يُفيد الوثوق والاطمئنان لأنَّه وارد من مورد لا علم له بأصول دعوتهم، لذلك فليس في إمكاني أن أقدم عن دعوتهم شيئًا أراه صحيحًا لا عُبار على صحَّته.

وقد صُبِغَتْ أَكْثَرُ الأَخْبَارِ التي نُسبت إلى المُتَنبِّئِينَ بصبغةٍ أشكُّ في أصالتها وصحَّتها، وما نُسب إليهم من قولهم قرآنًا أرادوا به مُضَاهَاةَ كتاب الله، قد يكون من صنْعِ أتباعهم عليهم بعد إسلامهم، وقد يكون من صنْعِ غير أتباعهم، نسجوه على ألسنتهم، وقد بلغ الاستهزاء بهم أن صُعَّرَ اسْمُ «مَسَلَمَةَ» فُصِّرَ: «مُسيِّمَةَ»، وصُعِّرَ اسم «طُليحَةَ» فصار «طُليحَةَ» ازدراءً وسخريةً وغيضَ شأنٍ بهم.

فما يقوله أهلُ الأَخْبَارِ عن ارتداد العرب عامَّةً أو خاصَّةً، وجليان جزيرة العرب. هو من قبيل المُبالِغَةِ المألوفة على ألسنتنا حتَّى اليوم حين نُخبرُ عن خيرٍ نريد المُبالِغَةَ به؛ لأنَّ جزيرة العرب لم تكن قد أسلمت كلَّها أو أكثرها يوم تُوِّفِّي رسولُ الله، وما يتحدَّثون به عن إسلام القبائل، هو في الواقع إسلامُ ساداتها، أمَّا أفراد القبيلة، فهم من أبعَدِ النَّاسِ عن التَّدِينِ والدِّين، وهم حتَّى في إسلامهم إسلامٌ بالاسم؛ لأنَّ من طبيعة الأعرابيِّ عدم التَّدِينِ، وتديُّنه تديُّنٌ ظاهريٌّ، وكانت القبيلة إذا دخلت في الإسلام، كان دخولها فيه بسبب دخول سيِّدها فيه، فهي في ذلك تبعٌ للرَّئيس، وإذا خرج الرَّئيسُ من دينه، عُدَّتِ القبيلةُ خارجةً عليه.

المؤذّنُ مسلمون، ولذلك كان في جملة ما أمر به أبو بكر قاداته الذين أرسلهم على المرتدين، أن يُنصتوا، فإن سمعوا أذاناً، تركوا الغارة، وإن لم يسمعوا أذنوا القوم، ثم تكون الغارة، إن تبين أنهم من العصاة، فالصلاة وأداء الزكاة دلالة على أن القوم مسلمون^(١٨٨)، وأنهم في أمان، والأذان هو شعار الإيمان بالإسلام.

والصحيح أن ارتداد من ارتد لم يكن ارتداداً عن الإيمان بالله إلى العبادة الأولى التي كانت لهم قبل دخولهم في الإسلام، وإنما كانت ردتهم هذه محاولة للتخلص من سلطة المدينة عليهم، باعتبار أنهم إنما بايعوا النبي، ولم يبايعوا غيره في حياته، فبوفاته انقطعت بيعته، وحل لهم التنصل من حكم غيرهم عليهم، فهم لا يريدون أن يخضعوا لحكم غريب عنهم، يريد أن يجبرهم على دفع إتاوة، والإتاوة أمانة الذل والخنوع، لا يدفعها إلا الضعيف للقوي في نظر عرب ما قبل الإسلام، ثم إن عقلية الحكم المدني لا تتفق مع عقلية الحكم عند الأعراب، التي لا ترى الخضوع إلا لحكم شيخ القبيلة وأعرافها، وفي جملة ذلك عدم استقلال كل قبيلة بحكم نفسها بنفسها، وبدعم قبول تدخل قبيلة أخرى في أمورها، إلا إذا أكرهت على ذلك، فهي تخضع مضطراً للطاعة، حتى إذا وجدت فرصة مؤاتية لها، خرجت على من أجبرها على الخضوع لحكمه، ومن هنا صار الحكم عند الأعراب حكماً قبلياً لا يفهم من القومية إلا هذا المعنى العطن الضيق، ومن هنا عزموا على عدم

(١٨٨) [في الأصل: «مسلمين»].

والصحيح أن القبائل، وأصح من ذلك سادة القبائل، كانت ترتبص بالإسلام، ترى ما سيكون إليه أمر الرسول، فلما افتتحت مكة وفرغ من تبوك^(١٨٤) وأسلمت ثقيف، ضربت إليه سادة القبائل في سنة تسع من الهجرة، ولهذا عرفت بسنة «الوفود»^(١٨٥)، وقيل بعد رجوعه من الجعرانة^(١٨٦) في آخر سنة ثمان وما بعدها^(١٨٧)، فكان الوفد ينفذ إلى المدينة فيتكلم مع رسول الله كلاً ما فيه تباين واختلاف حسب عقلية القبيلة وبعدها أو قربها من الحضر، ثم يعلن الوفد إسلامه ويعود إلى منازلها، فلما كانت الوفاء، وولي أبو بكر، ظن من بايع رسول الله على الإسلام أن أمر الإسلام قد مضى وانتهى، وأنه صار في حل من البيعة، حتى أعادهم الخليفة إلى الطاعة، وأعاد غيرهم ممن لم يكن قد أسلم بعد إلى الإسلام، ووحد الجزيرة لأول مرة، وشعروا عندئذ بنعم الوحدة، فكانت هذه الوحدة من أعظم نعم الإسلام على العرب.

وكانت سمة الإسلام النطق بالشهادتين وأداء الصلاة والزكاة، فمن فعلها عد مسلماً، وكان الأذان علامة على أن القوم الذين يؤذّن بينهم

(١٨٤) [تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد بن عدرة. «معجم الأدباء»، ياقوت الحموي: ٢ / ١٤].

(١٨٥) ابن هشام (٢ / ٣٣٣).

(١٨٦) [الجعرانة: بكسر أوله، وهي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها رسول الله (ص)، وقسم فيها غنائم هوازن. «معجم الأدباء»، ياقوت الحموي: ٢ / ١٤٢].

(١٨٧) تاريخ الخميس (٢ / ١٩٢).

مُبايعة أبي بكر بالخلافة، لأنَّه غريب عنهم، وهم لا يُريدون أن يحكّمهم إنسانٌ غريبٌ عنهم، ولو كان من العرب، فمفهوم القومية بعيد عن عقليّة البدويّ، فالقومية عنده قومية القبيلة التي ينتمي إليها حسب.

وكان لموقف أبي بكر الصّلب المتشدّد مع القبائل القريبة من يثرب، وقعٌ كبيرٌ على نفوس القبائل التي أعلنت عن عدم رغبتها في إطاعة الخليفة، وفي دفع الزّكاة له، ولو كان قد تساهل معها، لكان قد عرّض المدينة إلى خطر الطّمع فيها ومُهاجمتها، كما فعل مَنْ كان يُقيم على مقربة منها من القبائل، فقد باغتهم الخليفةُ بهجومٍ مُفاجئٍ أفزَعهم، فتراجعوا، وولّوا هاربين عنها، وقد ألقى الرّعبَ في قلوبهم، ولم يفكّروا في غزوها ثانيةً.

ووقف أبو بكر موقفًا صلبًا تجاه الاستعانة بالعصاة الذين رجعوا إلى الطّاعة، فأصدر أمره إلى ولاته بعدم الاستعانة بهم في الجهاد، ولعلّه فعل ذلك خشية قيامهم بعمل غادر أثناء الجهاد، بينما المسلمون يُحاربون عدوّهم. وقد كتب أبو بكر بقراره هذا إلى عمّال الرّدة، ونصّه: «أمّا بعد: فإنّ أحبّ مَنْ أدخلتم في أموركم إليّ مَنْ لم يرتدّ ومَنْ كان ممّن لم يرتدّ، فأجمِعوا على ذلك، فاتّخذوا منها صنائع، واثذّنوا لمن شاء في الانصراف، ولا تستعينوا بمُرتدّ في جهاد عدوّ»^(١٨٩).

وقد يسأل سائل: لِمَ وقف أبو بكر هذا الموقف المتصلّب مع أهل الرّدة، ولم يقف هذا الموقف مع

أهل الكتاب وبضمنهم الجوس؟ والجواب على ذلك، أنّ الموقف كان يقتضي عليه عدم إمكان إظهار التساهل مع العصاة عليه، فالتساهل معهم، معناه في نظره إفهام العصاة بضعف مركز المسلمين، وهذا ما يحملهم على الطّمع فيهم، والتّوسّع في مطالبهم، والعودة إلى الحميّة الجاهليّة وعقليّة الأعرابيّة القائمة على النّظم القبليّة، وقد جاء الإسلام بهدم الشّرك، وقد آمن مَنْ آمن به، فليس لمن دخل فيه أن يخرج منه، وليس أمامه من خيارٍ إلاّ العودة إليه أو القتل أو الهروب من بلد الإسلام، فهذا حكمٌ مُنزلٌ، ولا تبديل لحكم الله. أمّا أهل الكتاب، فهم أصحاب دين، وحكمُ كتاب الله بينٌ فيهم، في سلّمهم مع الإسلام، أو في حربهم له، وعلى هذا الحكم كان حكمُ أبي بكر.

وحدت حروب الرّدة جزيرة العرب، ووحدت عقيدة معظم أهلها، ولم يُسمح ببقاء أحد فيها على غير دين، فهم بين مسلم وبين صاحب كتاب، أي يهوديّ أو نصرانيّ، أو مجوسيّ، فقد أُدخل الجوس في صنف أهل الذّمّة، أمّا الشّرك والتّقرب بالأصنام إلى الله، فهو حرام، وليس له من علاج سوى الدّخول في الإسلام، أو ترك جزيرة العرب أو السّيف، وردّ عن عائشة: «ارتدّت العرب واشربت اليهوديّة والنّصرانيّة، ونجم النّفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في اللّيلة الشّاتيّة لفقْد نبيّهم، صلّى الله عليه وسلّم، حتّى جمعهم الله على أبي بكر»^(١٩٠)، وبحزم أبي بكر وبصلايته

(١٩٠) ابن هشام (٢/ ٣٧٧)، الطّبريّ (٣/ ٢٢٥)، (١/

وصارت «يثرب» عاصمة الإسلام، وعربية القرآن الكريم العربية الرسمية للدولة وللدّين، تُراجِعُها الأمصارُ في أمورِها، وعلى الأمصار أمراء الخليفة، من أصحاب رسول الله، ينظرون في أمور الرعية، ويُجبون الصدقات، ويحفظون الأمن، ويُراجعون مع الخليفة ما يقع عندهم من مُشكِلك، وبذلك وُحِدَ عربُ الجزيرة لأول مرة في حكومة واحدة، ذات عقيدة ثابتة وفلسفة موضوعية، ومُثلٌ عليا في هذه الحياة.

قائمة مصادر الدراسة والتحقيق:

أولاً: الكتب:

- «الآثار العربية، مُنتخبات من أبحاث المؤرخ الدكتور جواد علي»، بشار عواد معروف وآخرون، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٤م.
- «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، ابن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: عليّ محمّد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- «أسدُ الغابة في معرفة الصحابة»، عليّ بن أبي الكرم الشيبانيّ الجزريّ، ابن الأثير، (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عليّ محمّد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- «الإصابة في تمييز الصحابة»، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد، ابن حجر العسقلانيّ (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- «الإكمال في رفع الارتياح عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكُنَى والأنساب»، سعد الملك أبو نصر عليّ،

وبصرامته في معاقبة مَنْ عزم على الخروج عليه، قضى على حركات الانفصال وعلى النزعات الأعرابية الموروثة المتمثلة في العيش عيشة قِليّة. وبعد أن تمّ لأبي بكر توحيد جزيرة العرب، وجّه هذه القبائل التي كانت تعيش عيشة فقرٍ وبؤس نحو الفتح، فلما قضى خالد على العصاة، ووثق أبو بكر من استقرار الوضع، وجّه القبائل قبَلَ العراقِ وقِبَلَ بلادِ الشّام، فكان أن فُتحت الأبواب لأبناء الجزيرة أن تدخل تلك البلاد الغنيّة، بصورة مُحيرة عجيبة، كما سنرى فيما بعد.

وقد أحسنَ أبو بكر غايةَ الإحسان في توجيه القبائل نحو الفتح، إذ أشغَلها بذلك عن محاربة بعضها بعضاً، وعن بروز أشخاص ينتهزون ضعف الوضع الاقتصاديّ والفقر العامّ الذي جعل القبائل تُقاتل بعضها بعضاً بسبب فقر الجزيرة، فتوجّهت أكثر القبائل إلى أرض الفتح ونست الأيّام القريبة التي نادت فيها بعدم الاعتراف بسلطة قريش عليها، وبالامتناع عن أداء الزكاة، وخرجت من ديارها تُحارب تحت راية الإسلام.

«وقد اختلفَ في تأريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدّين، فقال ابن إسحاق: كان فتحُ اليمامة واليمن والبحرين وبعثُ الجنود إلى الشّام سنة اثنتي عشرة، وقال أبو معشر ويزيدُ بن عياض وجعديّة وأبو عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر: إنّ فُتوح الرّدة كلّها كانت لخالد وغيره سنة إحدى عشرة، إلّا أمر ربيعة بن بُجَيْر فإنّه كان سنة ثلاث عشرة»^(١٩١).

(١٩١) ابن الأثير، الكامل (٢ / ٢٥٢).

- ابن ماكولا (ت: ٤٥٧هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن قايماز، الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- «تاريخ الثقات»، أبو الحسن، أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي العجلي (ت: ٢٦١هـ)، دار الباز، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- «تاريخ العرب في الإسلام، السيرة النبوية»، د. جواد علي، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ٢٠٠٤م.
- «تاريخ الكاظميّة»، محمد أمين الأسدي، دار الوراق للنشر، بيروت، ٢٠١٣م.
- «تاريخ بغداد وذيولها»، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٧هـ.
- «تاريخ مدينة السلام»، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت، الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- «تكملة المعاجم العربيّة»، رينهارت دوزي (ت: ١٨٨٣م)، ترجمة وتعليق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
- «الثقات»، محمد بن أحمد بن معاذ البستي، ابن حبان، دائرة المعارف الإسلاميّة، بحيدر آباد، الدكن، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م.
- «جمهرة اللّغة»، أبو محمد بن الحسن الأزدي، ابن دريد (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- «جمهرة قبائل العرب»، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- «سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد»، محمد بن يوسف، الصّالحيّ الشّامي (ت: ٩٤٢)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م.
- «السيرة النبويّة في البداية والنّهاية في التّاريخ»، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م.
- «شرف المصطفى»، عبد الملك بن محمد النيسابوري، ابن سعد الخركوشي (ت: ٤٠٧هـ)، دار البشائر الإسلاميّة، مكّة المكرّمة، ١٤٢٤هـ.
- «شمس العلوم ودواء كلام العرب والكلام»، نشوان بن سعيد التّميميّ الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- «غنية الملتبس في إيضاح الملتبس»، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت، الخطيب البغدادي، تحقيق: د. يحيى الشّهري، مكتبة الرّشد، الرياض، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- «كتاب الطبقات الكبرى»، محمد بن منيع البصري، ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- «كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، القسم المتّم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم»، تحقيق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.
- «كتاب العين»، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السّامرائي، دار مكتبة الهلال، (د.ت).

- «كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين»، محمد بن أحمد بن معاذ البستي، ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: د. ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- «الواقي بالوفيات»، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية غير المنشورة:**
- «النصاري في كتاب المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام: دراسة في أحوالهم العامة»، منال غفار حسن الحسني، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، مقدمة إلى كلية التربية بجامعة القادسية - قسم التاريخ، ٢٠٢٠م.
- ثالثاً: الدوريات:**
- «العلامة المؤرخ جواد علي»، حميد المطبعي، مجلة (ما بين النهرين)، ع ٥٩٢، ١٩٨٥م.
- «فقيدان مجعيتان جليلان»، د. عدنان الخطيب، «مجلة مجمع اللغة العربية»، دمشق، مج ٦٢، ج ٤، تشرين الأول ١٩٨٧م: ٨٢١-٨٢٧.
- «قراءة في كتاب (تاريخ العرب في الإسلام) للدكتور جواد علي»، د. نصير الكعبي، مجلة (ينابيع الحكمة) النجف - العراق، العدد المزدوج ٣٥-٣٦، ٢٠١٨م.
- «كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين»، محمد بن أحمد بن معاذ البستي، ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ.
- «المجمعيون في العراق ١٩٤٧-١٩٩٧»، إعداد: صباح ياسين الأعظمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط ١، ١٩٩٧م.
- «معجم الأدباء»، أبو عبد الله، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- «معجم البلدان»، أبو عبد الله، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- «معرفة الصحابة»، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق العبدي، ابن منده (ت: ٢٩٥هـ)، تحقيق: د. عامر حسن صبري، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، د. جواد علي، دار الساقى، ط ٤، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- «موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين»، حميد المطبعي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥م.
- «موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين - الدكتور جواد علي»، حميد المطبعي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.